المشرق

التليفون وملحقاتهُ

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي

التليفون من اعجب مُخترعات العصر المتصرم واكثرها جدوى لما يُستفاد منهُ من ترويج المعاملات وتوثيق عرى الائتلاف والتحاب مع توفير اسباب ترقية الهيئة الاجتماعيَّة فانهُ ليس فقط يقرب المسافات القاصية كما يفعل التلغراف بل يحيي امامنا اشخاص الاحباب فيشعر بهم القلب وان لم ترَهم العين. وذلك انَّ التليفون ينقل الينا اصواتهم فتميز الاذن كل نبرات لهجتهم وتلتمس بذلك كلّ عواطف الوداد وتتلطَّف حرقة الفراق ويجتمع شمل الاصحاب رغمًا عن شتاتهم فيصبحون كأنَّهم وراء ستار تتوجَّس مسامعنا اصواتهم العزيزة لا ينقصنا سوى العيان

تاريخ التليفون

التليفون لفظة يونانيَّة مركَّبة من لفظتين « τῆλος » بُعد و « φωνή » صوت وهو عبارة عن آلة لنقل الاصوات الى مسافات بعيدة. والآلة المعروفة اليوم بهذا الاسم انَّما هي ثمرة أبحاث عديدة واختبارات متوالية شأن كلّ الاكتشافات العلميَّة التي تبدو ضئيلة ثمَّ يجدُّ العلماء في تحسينها الى ان يبلغوا بها الى كمالها

ومن عجيب الامور انَّ العامَّة تنبَّهوا منذ زمن مديد الى وضع آلة بسيطة كانوا يتخذونها للمكالمة عن بُعد. وممَّا اخبر المسيو ادمند اندره الذي اوفدتهُ الحكومة الفرنسويَّة سنة ١٨٧٦ الى غرناطة الجديدة في اميركة الجنوبيَّة أنهُ وجد بين سكَّان تلك البلاد آلة صغيرة كانوا يدعونها « فونوسكوبيو » يستعملها احداثهم كألعوبة ليباحثوا بعضهم عن بُعد. وهي تتركَّب من خيط طويل ينتهي طرفاهُ الى اطارين

بُسط عليهما رقّ غزال او جلد خنزير فيُدخل الخيط في ثُقب ويُعقد في وسط الاطارين فيتكلّم المتكلّم في احدهما ويسمع السامع في الآخر ثم يتناوبان وربّما كانت المسافة بينهما نحو خمسين قدماً. وكان قبلهُ الطبيعي سودر (Sudre) اشار الى ارباب الحكومة الاميركية سنة ١٨٢٧ ليتخذوا تلغراف الخيط في الجيش ليبلغ القواد اوامرهم الى الضباط بهذه الواسطة (١

وهذه الآلة شاعت بعد مدّة بين احداث باريس فدعوها « تلغراف الخيط ». ولعل الفرنج نقلوا هذه الألعوبة بعد ذلك الى بيروت. فانّ صبيانها قبل عشرين سنة كانوا يتلهّون بمثل هذه الآلة ولا يزال المثل حتى اليوم يُضرب في الجهّال فيقال: « يشبه الزعران اللي بيحكوا بالخيطان »

ومن المظنون انّ هذه الآلة هي التي ارشدت العلماء الى وضع التلفون ونقل الاصوات الى امكنة بعيدة الّا انهم عمدوا الى ما هو أنقل للاصوات اي المعادن

وكان ارباب الطبيعة لحظوا انّ الصوت لا يفقد شيئاً من قوتهِ اذا نفذ في انبوب معدنيّ ولو بلغ طولهُ اميالاً. ثمّ اكتشف الاميركي پاج (Page) سنة ١٨٣٧ انّ جرزةً من الحديد اذا توالى عليها فعل المغناطيس فجرى فيها مجراهُ وأبطل دفعات عديدة يُسمع لها صوت رنّان. ويُقتضى لذلك ان يزيد عدد هذه الهزّات المغناطيسيّة على ١٦ هزّة في الثانية. فدعا العلماء هذه الاصوات المعدنيّة « الموسيقى الغلفانيّة »

ثمّ زاد الطبيعي « دى لا ريف » شدّة هذا الرنين المعدني بان بدل الجرز الحديدية باسلاك معدنيّة طويلة فاجازها في محور مكبّات المجاري الثانويّة الملفوفة بسلك معدنيّ معتزل

فكان هذا الاختراع داعياً لوضع آلات أخرى دعوها المهزّات الكهربائيّة (vibra-teurs électriques) كان يُسمع لها ألحان موسيقيّة بفعل الكهرباء. ثمّ وجد العلامة الفرنسوي شرل بورسويل (Bourseul) انّ هذه الاصوات يجوز نقلها من مكان الى آخر مهما طال السلك المعدني. فجهّز سنة ١٨٦٢ الالماني فيليب رّيس (Reis) آلةً نقل بها الالحان الموسيقيّة وأصوات الغناء الى مسافة بعيدة. وكان في اول الامر

(١) وقيل انّ بعض الاميركيين بدل الخيط بسلك معدني فسُمع الصوت على مسافة كيلومتر ونيف

عمد الى بطاريَّة كهربائية ثمَّ جعل بقرب هـذا المجرى حاجزًا معدنيًّا وكان يغني بقرب هذا الحاجز بحيث يمسّ الحاجز الاسلاك عند اهتزازهِ بقوَّة الصوت فتجري اليهِ الكهرباء او تنقطع عنهُ بسرعة عجيبة . وكان يُسمع في اثناء ذلك صدى الصوت او الغناء في جزءة الحديد المغنطة المتصلة بالبطاريَّة

ومن ثمَّ يتركَّب تليفون رَيس من قسمين : الباعث الذي يُطلَق امامهُ الصوت فتهتزّ بهِ جُليدة او صحيفة يجري باهتزازها المجرى الكهربائي من البطاريَّة او ينقطع . ثمَّ القابل وهو يتركَّب من جزءة حديديَّة رفيعة حولها ملفٌّ من الاسلاك المعدنيَّة فاذا برز الصوت من الباعث سُمع من القابل . وبين القابل والباعث شريط يجمع بينهما يجوز ان تجعل طولهُ ما شئت

على انَّ تليفون رَيس لم يصلح الَّا لنقل اصوات الدوزان او السلّم الموسيقيّ فكان يُسمع منهُ الغناء دون الالفاظ ومن ثمَّ لم يفِ بغرض التكلّم ولذلك لم ينتشر انتشارًا كبيرًا ولم يكترث لهُ كثيرون من الطبيعيين

ولمَّا كانت سنة ١٨٧٦ اقام الاميركيُّون معرضًا في فيلدلفيا وكان من جملة العارضين رجل يُدعى غراهام بِلّ (G. Bell) انكليزي الاصل اميركيّ المنشأ قدّم لعمدة المعرض آلة زعم انها تنقل الكلام بين الامكنة المتباعدة . وأيَّد زعمهُ باختبارات علنيَّة فجعل آلتهُ في مدينة بُستون ووصلها باسلاك التلغراف وجعل القابل في مدينة مَلدن والمسافة بينهما ٩ كيلومترات فصار يباحث احد زملائهِ فيسمع ويجيب على كلامهِ حتى لم يبقَ في صحَّة اكتشافه ادنى ريب . وكذلك جدَّد الاختبار بين مدينتَي بستون وسالم (Salem) والمسافة بينهما ٢٢ كيلومترًا فسُمع الصوت جليًّا في كلتا المدينتين

وفي منتصف سنة ١٨٧٧ قدَّم المسيو بل آلتهُ للمكتب العلمي في باريس ولبقيَّة الجمعيَّات العلميَّة في اوربَّة فاتَّفقت آراء الجميع على استحسانها والثناء على صاحبها

امَّا تركيب هـذا التليفون فكما يأتي : تؤخذ صفيحة من الحديد المطرَّق (ح) فتجعل في قعر فوهة (ف) ووراء الصفيحة المذكورة يوضع بُرز من الفولاذ المغنط (م) وعلى هذا البرز مكبَّة (ك) لُفَّ حولها سلك معدنيّ يحجزهُ خيط حرير يُناط طرفاه (خ خ) بنصبتين من المدن (ع ع) مُثبتتين في غلاف الخشب الذي يصون الآلة . ويُربط بالنصبتين السابق ذكرهما سلكان معدنيَّان باي طول كان ينتهيان

الى آلة ثانية تشبه تمامًا الآلة التي وصفناها

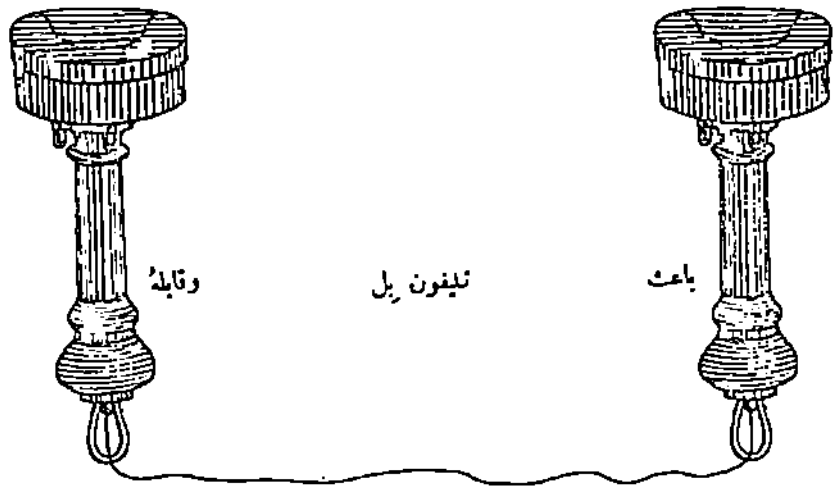

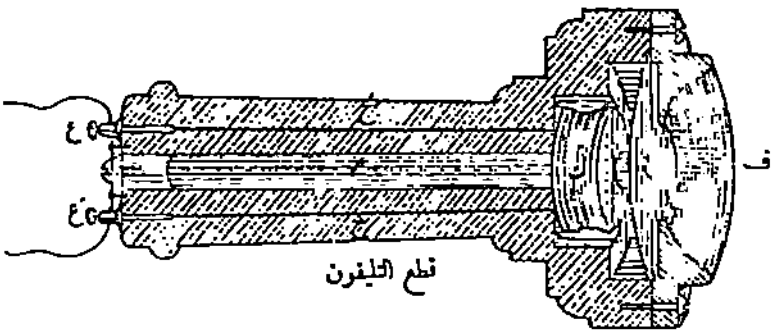

فاذا اراد احد ان يحادث رفيقًا لهُ اخذ الالة وتكلّم فيها بصوت عادي فالحال تتحرّك الصفيحة بتموّجات الهواء الناتجة عن الصوت. والصفيحة باهتزازها تحدث في مغناطيس الفولاذ تمغنطًا مختلفًا يحدث بسببهِ مجرًى ثانوي في المكبّة وهذا المجرى ينتقل الى السلكين وينتهي الى الآلة الثانية التي هي في يد السامع وهو مُلصقها باذنهِ. وتجري في هذه الآلة كل الاهتزازات التي جرت في الآلة الاولى ويتمغنط بذلك فولاذها والفولاذ بتمغنطهِ يهزّ الصفيحة فيُسمع منها الصوت تمامًا. فاذا فهم السامع معنى كلام المتكلّم واراد الجواب كفاهُ ان ينقل الآلة من اذنهِ الى فيهِ فيتكلّم عند فوهتها بينما يسمع لهُ المتكلّم الاول بوضع الآلة في اذنهِ. وعلى هذه الطريقة يصبح الباعث قابلًا والقابل باعثًا وذلك لانَّ بالسلكين اللذين يوصلان الباعث والقابل تتمُّ دائرة المجرى

الكهربائي . وان شئت امكنك ان تكتفي بسلك واحد بشرط ان توصل الآلتين بالارض فتصبح الارض متممة لهذه الدائرة الكهربائية كما ترى في التلغراف الكهربائي

فترى مما سبق انَّ تركيب التليفون مبنيٌّ على خواصّ المجرى الثانوي الذي ذكرهُ المشرق مراراً (١ : ٧ و ١٠ ثم ٢ : ٦٧٣ و ٦٧٤) فنحيل قرَّاءنا الى مراجعة ما قيل هناك لادراك هذا المبدإ الطبيعي المتعدّد الفوائد

ومن خواصّ تليفون غراهام بِلّ انهُ شديد الحسّ يُشعر باخفّ وكز ويتأثر بادنى مجرًى من الكهرباء حتى انهُ اذا مرَّ بهِ مجرًى آخر كهربائي كمجرى التلغراف مثلاً سُمع لهُ صوتٌ كصوت البرَد الساقط على الزجاج وربَّما اختلط لهذه الجلبة صوت المتكلّم فلا يعود يُسمع الّا لغط او لا يُسمع البتة . ومن اراد التكلُّم بالتليفون لا يحتاج الى رفع الصوت وانَّما ينبغي لهُ ان يُحسن اللفظ فتكون لهجتهُ واضحة جليَّة وكذلك يمكن كثيرين من السامعين ان يسمعوا صوتًا واحدًا صدر من الباعث ويكفيهم لذلك ان يوصلوا شرائط بسلكَي التليفون و يعددوا آلاتهِ القابلة

وما بشَّرت الجمعيَّات العلميَّة باكتشاف التليفون حتى اقبل عليهِ الناس في اوربَّة واميركة ايَّ اقبال وعقدوا الشركات لاستثماره وحاولوا تحسينهُ والزيادة في اتقانهِ

واول ما أُجري على هذا التليفون من الاصلاحات ان الاستاذ غُوَر (Gower) لحظ ان احد قُطبي الجرزة المغنطة يبقى دون فائدة فسلوى الجرزة على شكل نصف دائرة فصار القطبان يتأثران باهتزازات الصفيحة التي تمسها في قعر القوهة

ومن الاصلاحات التي اجراها ادسون (Edison) انهُ قوَّى الباعث فجعل لهُ بطاريَّة تمكّنهُ من تبليغ الصوت الى مسافات بعيدة . امَّا القابل فهو نفس القابل الذي استعملهُ بِلّ

وفي مقالة تابعة نصف الآلات التي اخترعت بعد التليفون لتزيدهُ فائدةً . وفي ما قلناهُ عن هذه الاداة العجيبة ما يبيّن حكمة الخالق الذي اودع في الطبيعة اسراراً مكنونة يفتخر العلماء باكتشافها . وفي وصف التليفون قال بعض المحدثين :

يوشوش في الآذان ما قد رووْا لهُ ... فقد هذَّبتهُ الكهرباء لها الفضلُ
وما البرق الّا دونهُ وهو مسرعٌ ... لذاك بهِ للقول قد يحسن النَّقلُ
مزالٌ ولا سمعٌ ووعيٌ ولا عقلٌ ... ونطقٌ ولا فهمٌ وسعيٌ ولا رجلُ
فكم أولدت بنتُ العلوم بدائعًا ... لها النفعُ جمٌّ مذ تأملها العقلُ
فلا زال بحر العلم يحوي جواهرًا ... ولا زال في ذا اليمّ غوص الملا يحلو

حلُّ مُعقَّدات

لحضرة الاب العالم اللغوي المتقن انستاس الكرملي البغدادي (تابع لمدد سابق)

٤ً (مرادفات) وطُلب من قرّاء المشرق (٣: ٧٦٦) وضع مرادفات لكل من الالفاظ الآتية: كونسول. بيرو. طوان. سينمتوغراف. فيرادف كلمة console «حاملة» كما هو مشهور عندنا. ولهُ وجه فصيح لان العرب يسمُّون الارجل: الحوامل. وما ذلك الّا لانها تحمل الانسان كما نصَّ على ذلك صاحب التاج. والكونسول هي بمنزلة الارجل للرفّ او نحوه لانها تحملهُ

ويرادف كلمة بيرو bureau «المكتب» اذا أُريد بهِ المحلّ الذي تُقضى فيهِ الشؤون التي تحتاج الى كتابةٍ: واذا أُريد بيرو متضدة الكتابة او ما يُصان فيهِ الكتب والرسائل ونحوها فهو «قِطرٌ»

ويرادف كلمة طوان التركية لفظة «رفيف» العربيَّة بمعنى السقف. ناقلين معناهُ الى هذا السقف الذي تُنضَّد فيهِ الألواح او الاخشاب بحيث يصدر عن مجموعها ونضيدها منظر اشبه شيء بمنظر الثغر الرفَّاف وهو الثغر الذي يرفُّ كالاقحوان لما فيهِ من الاسنان المُنضَّدة البيضاء المتلألئة الشبيهة بشرفات الاقحوان (راجع التاج في مستدرك مادة ر ف ف)

ويرادف كلمة سينمتوغراف او كينمتوغراف cinématographe «الرسوم او الصور المتحركة» وهو معنى اللفظة. ومثلها: «الصور او الرسوم الروحانيَّة كما قالوا: «الآلات الروحانيَّة» لحركة داخلية فيها (راجع المشرق ٣: ٦٢٢). واذا اردت لفظةً واحدة قل: «المُنمَّات» من نمَّ نسمةً اذا احياها بالعتق وهنا يحيي النسمات بالحركة. وهذا الوضع مأخوذ من مقيسات اللغة فلا تتعجب. ومثل ذلك كثير فيها. وان شئت اتيتك بما تعجزك قراءتهُ

٥ً (الصدفة) وجاء في المشرق (٢: ٨١٥): «انَّ لفظة الصدفة اي hasard وان لم ترد في المعاجم فقد استعملها بعض كتبة المشهود لهم بالبراعة ولعلنا في فرصة اخرى نأتي بنصّ كلامهم». ثمَّ نسي المشرق ايراد تلك النصوص قلتُ: الصدفة اسم مصدر من فعل صادف كما انَّ الألفة اسم مصدر لفعل ائتلف. وقد وردت في مؤلفات الشيخ

محمد عبده المصري احد ائمة العربية الاعلام في هذا العصر قال في مقدّمة نهج البلاغة (طبعة سنة ٣٠٧ ص٢) ما نصُّهُ: « وبعد فقد اوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة صدفةً بلا تعمُّل » اه. وقال ايضاً شارحاً هذه العبارة: « اتفق لي في عنفوان الشبيبة خُلُقٌ سجيح » من المقامة الحمريّة لبديع الزمان (ص ٢٣٦ من طبعة الآباء اليسوعيين) بما نصُّهُ: « عنفوان الشبيبة اول الشباب. والخلق السجيح: اللين السهل. واتفق لهُ ذلك لانَّ عادة عنفوان الشباب الخرق والجري على غير رفق فتحلّيهِ بالخلق السجيح وهو في ريعان الشباب يشبه ان يكون من الاتفاق والصدفة » اه. وكفى بشهادة الشيخ آيةً وسنداً مما لا حاجة الى ذكر نصوص اخرى

٦ً (اصل كلمة صفراغون) كثيراً ما خدعت الظواهر الخارجيّة او الحسيّة القوى الباطنيّة او العقليّة. ومثل هذا الامر قد وقع في اصل كلمة صفراغون فان ظاهر لفظها استدرج العلامة لكلير الى القول بانها من ossifraga واستزلّ حضرة القس البرّ جبرائيل قرياقوزة الى القول بأنّها آرامية وهي في هذه اللغة [illegible] اي طائر ذو ألوان او ملوَّن على ما أوَّلهُ (المشرق ٣: ٩٥٧). ثمَّ اورد وصف هذا الصفراغون وأغرق فيهِ حتى اوضح لنا انهُ طائر آخر. ولهذا وجب علينا ان نذكر معرّبًا ما جاء في الطبعة الاخيرة من معجم بُوَيه العلمي التي تولى تصحيحها جماعة من جلة العلماء حتى تتأكّد ان حضرة الكاتب لم يكن من الصابئين وان كنتُ اودّ ان يكون منهم. فقد جاء في الكتاب المذكور تحت مادة صفراغون ما معناهُ:

« الصفراغون جنس من الطير من رتبة العصافير السِنِّيَّة المنقار من فصيلة الموازج تشمل طُوَيرات دقيقة المنقار مُذَرْبَتُهُ ومخرزيَّتهُ وسانها حُمشٌ وذنبها واجنحتها قصيرة. وفي ايام القيظ تأوي الى الغابات الغياض والى شطوط الانهار. وفي الشتاء الى ثقوب الحيطان والمواطن المظلمة » اه

قلتُ: والسِنِّيَّة المنقار لا تأكل الّا الحشرات ومن ذلك اسمها الثاني آكلة الحشرات وعليهِ فقول حضرة القس الهمام: « ويرد هذا الطائر الى تلك النواحي (يريد قرى الموصل واطرافها) بكثرة عظيمة قبل أوان الحصاد بقليل لالتقاط الحبوب من السنابل وهو يضرّ بالزرع كثيراً » (وقد رأيتُ من وصفنا انهُ مفيد للزروع بما انهُ يأكل الحشرات وانهُ في وقت الحصاد اي ايام القيظ يلازم الغابات ومن هناك اكلهُ) ثمَّ قال حضرته: « ولذلك يخرج الاهالي لطردهِ وزجرهِ بطرُقٍ مختلفة » وهو قول لا يوافق هذا الطائر.

كما لا يوافقهُ الوصف التالي: « ويوجد على ظهر هذا الطائر وذنبهِ ألوان مشرقة لمأعة بديعة الاشكال » والحال انَّ لون هذا الطائر اكثر ما يكون ادكن مع طريقتين سوداوين ليس الَّا. وظنّ ان القس المحترم لم يرَ الطائر وجاء بهذا الوصف حملًا على اشتقاق اللفظة وتثبيتًا لمدَّعاهُ. ثمَّ زاد على ما تقدَّم قولهُ: « وحسب زعمهم انهُ يأتيهم من جبال آثور اي كردستان الشاسعة الممتدة في تلك الاقطار. وقيل انهُ يعيش في سهول اراضيهم وبقاعها » والصواب انهُ لا يعيش الَّا في ثقوب الحيطان كما مرَّ بك ومنهُ اسمهُ عند اهل سوريَّة سكوكة الحيطان. ومنهم من يُسمّيهِ غمنة او امّ نوح. ثمَّ قال مناظرنا: « ويعيش بين تلك الاشواك والادغال المتشعثة الموجودة هناك بكثرة وعند اشتداد الحرّ يرحل الى حيث أتى ». (كذا. وفي كل ذلك من الاضطراب ما لم نستطع ان نهتدي الى معرفة هذا الطائر وعلى ايّ ينطبق هذا الوصف فلعلَّ الموصوف يبقى مجهولًا الى ما شاء الله)

هذا وازيد حضرة القس الفاضل اني لم اجد في المعاجم الآراميَّة المطوَّلة ذكرًا لكلمة « ڕڦڠ » أفتكون من مخترعاتهِ ولعلَّهُ رأى مشابهة بينها وبين كلمة صفراغون فظنَّ انها عما من تلك العُصَيَّة. لكن ألم يعلم رعاهُ الله ان المشابهة في التركيب او اللفظ ليس دليلًا كافيًا للقول بوحدانيَّةٍ أوَ يحتاج هذا الكلام الى اثبات او تأويل ثمَّ كيف يمكن لليونان ان يأخذوا كلمة عن الآراميين في عصر لم يكن هؤلاء مشتغلين في مثل هذه العلوم ولم يؤلفوا فيها شيئًا. وهل يمكن ان يسمُّوا باسم آرامي طائرًا يكثر في بلادهم وهو عندهم يُعدّ بالآلاف. ثم واين الوصف الذي وصفهُ من وصفهِ الحقيقي. وزد على ما تقدَّم ان المعنى الذي تكلَّف لهُ في وضعهِ لا يمكنهُ ان ينطبق على الطائر الموصوف كما رأيت. فكيف بعد ذلك يقول ان صفراغونًا آرامية الاصل

نظرٌ في الميزان التجاري

بقلم الاديب جان بهلوان عاصبه جي البانق الشماني في بغداد

قبل ان اشرع بالخوض في هذا المضمار. الذي كثر فيهِ العثار. وثار لهُ الغبار. عنَّ لي اعتراضٌ تولَّد من نفس البحث الذي اتخذتهُ موضوعي في تسمية العلم العائد اليهِ.

ان المحدثين يعنون بقولهم الاقتصاد السياسي العلم المسمّى بالافرنجية économie politique الباحث عن انتظام وتركيب الهيئة الاجتماعية البشريّة وعن لوازمها الخصوصيّة والعمومية والوسائط المؤدية الى اقتنائها وعن الآفات التي تعبث بحركة هذا المجموع الانساني واسبابها والدواء الشافي لاستدراك شرّها. فلا شكّ انهم من دون ان يدقّقوا النظر في اساس هذا العلم قد اقبلوا على تعريب « économie » بالمعنى الذي يتبادر الى الخاطر لاول وهلة وهو التوفير او الاقتصاد. ولا مردّ على ما في هذه التسمية من الخطإ لانّ بلفظة « économie » يُراد هنا النظام او التدبير

وربّ مناقش يعترض عليّ قائلًا ان الاقتصاد يعني ايضًا الاستقامة في الامر فيصحّ فيه تعريب « économie » ولكن لا يخفى ما في ذلك من التعسّف والتكلّف الظاهرَين. فالارجح على ظني الاتفاق على تسمية هذا العلم التدبير السياسي كما وجد ذلك في كتب العرب المؤلفة في هذا الموضوع

في اوهام اصحاب الميزان التجاري

من الاوهام التي توغّلت في كثير من العقول وما تمكّنت بعد انوار علم التدبير السياسي من قشع ظلماتها هو الاعتقاد بان زيادة واردات بلد « importation » على صادراته « exportation » يكون سببًا لافتقاره وبعكس ذلك اذا زادت إخراجاته على ادخالاته عظمت ثروتهُ. لانهُ على زعمهم اذا زادت الواردات (والفرق بين الواردات والصادرات هو الذي يسمّيه ارباب هذا العلم بالميزان او الرصيد التجاري) اقتضى سدّها من نقود البلد فذهب خسارةً بلا عوض. وقصدي تسفيه هذه الافكار وتفنيدها بعدّة براهين

في نشأة التبادل والمقايضة

ان من تتبّع الانسان في كل أطواره رآهُ في القدم يقوم بذاته بكلّ ما كان يكفل معيشتهُ من دون ان يفتقر الى غيره لإكمال حوائجه وذلك إمّا بزرع وإمّا بقنيص الحيوانات فيغتذي بلحمها ويكتسي بجلودها الى غير ذلك من اسباب المعيشة وقد تمكّن رويدًا رويدًا من تسهيل طرقها بقوة العقل الذي وضعهُ فيه البارئ تعالى سواء كان باهتدائه الى اختراع بعض الادوات او باستخدامه العناصر الطبيعيّة وانتفاعه منها. فكثرت اسباب المعاش وعظمت وتفرّعت حتى اصبح من كان يحرث الارض لا يهتمّ بعمل المحراث ولا

بامر لباسهِ ومسكنهِ فيعرض غلّات ارضهِ أو قسماً منها على عامل الحراث وناسج الثياب فيقايضهما بهِ وما تبقّى عندهُ يذخرهُ للايام العسرة. وعلى هذا الوجه كلما نما الناس وازدادت طرق معيشتهم تفرّقوا وتشعّبوا في أعمال يدهم وفكرهم فصار كل فرع قائماً بذاتهِ ثمّ جاء من هذا كلّهِ الصناعات والحِرَف التي نراها اليوم قد ملأت أطراف المسكونة

ومن أعمال الله العجيبة في الطبيعة انهُ جعل في المكان الواحد خواصّ حرمها الثاني وخوّل الثالث منافع لم تجدها في الرابع فامتازت كل بقعةٍ بفوائدها واختصّ قاطنوها ببعض الصناعات او الاعمال الى غير ذلك. وبتسهيد الطرق وتسهيل المواصلات حصل ايضاً التبادل بين بلادٍ وبلاد فاصبحت الأُمتان تتبادلان كما يتبادل الرجلان. وغنيٌّ عن البيان ان المقايضة لا تحصل الّا باشياء تساوي بعضها في القيمة وكل من المتقايضَين يرى فائدةً وربحاً في التبادل

وما يقال عن الفردين يقال عن الشعبين والشعوب. فالبلاد التي يحسن في تربتها نموّ التبن تُرسل بما ربا عندها الى بلاد أُخرى تجلب منها ما حُرمتهُ هي او ما افتقرت اليهِ وهذا ما يُدعى بالصادرات والواردات. ومن ذلك ينتج ان البلاد لا يدخلها الّا بمقدار ما يخرج منها اذ ليس من المحتمل ان الشعوب تبعث ببضائعها الى شعوب اخرى مجاناً وبلا عوض. فقد ثبت اذاً ان الادخالات تساوي ضرورياً الاخراجات فلم يبقَ محلٌّ لاوهام اصحاب الميزان التجاري

في ماهية وظيفة النقود في العالم

قد قلتُ انَّ المتبعين لرأي الميزان التجاري يزعمون ان البلد الذي تزيد ادخالاتهُ على اخراجاتهِ يسدُّ الرصيد او الميزان بنقود رنّانة فيفقدها وتكون لهُ خسارةً مأسوفاً عليها. لانهم يحسبون ان النقود هي أساس الثروة بل الثروة الوحيدة للأمّة. فمع انكاري دخول النقود في التبادل بين بلدين الّا بمبلغ طفيف اريد هنا ان ابيّن سخافة هذا الادعاء

ان الذين يذهبون هذا المذهب هم الذين يجهلون ماهية النقود ولم يعرفوا ما هي وظيفتها في الهيئة الاجتماعيّة. وهذا بحثٌ يستوعب موضوعاً برأسهِ ولربّما استأنفتُ الكلام وأفردت لهُ ان شاء الله مقالةً مخصوصة. غير اني أقول بوجه الاختصار ان حركة

الجمعيَّة البشريَّة لاجل اقتناء مأكولها ومشروبها وملبوسها هي عبارة عن مبادل خدمات او بضاعات كما بيَّنتُ اعلاه. فالفلَّاح يعطي مقدارًا من مُغَلِّه الى الخيَّاط ليأخذ لهُ ثوبًا ومقادير أُخرى الى صاحبي سائر ما يحتاج او يرغب اليه. فبتكاثر أنواع الخدمات والصناعات كثرت ايضًا المبادلات فاقتضى الحال ايجاد طريقة لتسهيل هذه المقايضات وازالة كل عقباتها. إذ انهُ من الصعب إلَّم اقل من المستحيل ان يتصوَّر الفلَّاح مقدارًا ما من الحنطة يساوي ثوبًا ومنجلًا ورطلًا من اللحم وكوة عربة الى غير ذلك. وكذلك ان الخيَّاط يحفظ في ذاكرته ان ثوبًا يساوي مقدارًا ما من الاشياء المتعدِّدة التي يحتاج اليها. هذا فضلًا عمَّا يحصل في امر التبادل من المشقَّات وضياع الوقت فانهُ كان ينبغي للفلَّاح ان يحمل مقدارًا من الحنطة الى الخيَّاط ليبتاع ثوبًا والى الحداد ليشتري منجلًا وهكذا الى الجزَّار وصاحب العربة. واذا اتفق ان احدهم لا يفتقر الى حنطة فعليهِ إمَّا ان يذهب بها الى غيرهِ وإمَّا ان يلتجئ الى ابتياع بضاعة توافق الذي رفض الحنطة

فهذه الصعوبات والمشقَّات ادَّت بالانسان الى اتخاذ بضاعة واحدة أُسًّا ومقياسًا عموميًّا لسائر البضائع. اليها ترجع جميع القِيَم عوضًا عن ان تكون كل بضاعة لصانعها قياسًا لقيم غيرها. فاتخذوا بضاعةً مقبولةً لدى الجميع بها يُبتاع كلّ نوع من الخدمات والبضاعات وهذا المقياس هو النقد. فيتضح من ذلك ان النقود هي الآلة المثلى للتبادل والتداول والبضاعة الفضلى من حيث جوهرها واذا سمَّيتُها بالخرج كما يسميهِ اصحاب علم الحساب فاكون قد اعطيتها كل حقها

فمن ذلك يتبيَّن ان النقود ليست بالثروة الوحيدة بل انما هي قسمٌ منها ومن احسن اقسامها من حيث جوهرها وخواصها. فكما ندعو من كان عندهُ مبالغ جسيمة من النقود غنيًّا ثريًّا هكذا يصحّ ان نسمي صاحب الاملاك الواسعة والاراضي الشاسعة او من كان عنده بضائع كثيرة ثمينة رجلًا غنيًّا متموِّلًا. ومن أفضليَّة النقود تولَّد في العقول هذا الوهم انها هي الثروة الوحيدة. فبناء عليهِ اذا فرضنا ان بلدًا خرج منهُ مبالغ جسيمة من النقود (وهذا من المحال) أفليس يدخلهُ بدلًا من هذه النقود بضائع تساويها في الثمن فمن اين يا صاح تحصل الخسارة بخروجها. وليس خروج النقود من بلد غير مضرّ بثروته بل انما وجودها في بلد بمبالغ عظيمة زيادةً عن اللازم يكون سبب خسارةٍ لها. لانهُ

حسب الناموس الطبيعي للعَرْض والطلب (La loi naturelle de l'offre et de la demande) ان كل ما كثر ذلّ وكلّ ما قلّ وندر عزّ وغلا. وذلك امر مشاهد بالاعيان لا يختلف في حقيقته اثنان. فالبلد الذي يكثر فيه غلال الحنطة تكون الحنطة فيه رخيصة الثمن وهكذا تكون الحالة اذا كثرت فيه النقود فوق ما يُقتضى للتداول فتذلّ وتنزل اسعارها وتفقد من منزلة الابتياع (pouvoir d'achat) بحيث ان كنّا نشتري بالعشرين غرشاً ذراعاً من الجوخ لا نحصل بهذا المبلغ الّا على ثلثي او ثلاثة ارباع الذراع او اكثر حسب اهميّة النقود

ومن اجلى الادلّة على فساد رأي من يدعي ان خروج النقود من بلدٍ خسارة لهُ هو ان البلاد التي تكثر فيها معادن الفضة والذهب لا تفتقر بارسالها خارجاً بل انما ثروتها متوقفة على اخراجها

هذا وأعود الى اثبات إنكاري بامكانيّة دخول النقود في التعاطي بين بلدين الّا بمقدار لا يُعبأ به

ان الانسان يعمل ومن مصنوعهِ يبتاع ما يحتاج اليهِ وما تبقّى لديه يدّخرهُ نقوداً ام بصورة اخرى. فالبضائع التي نبعث بها خارجاً يدخلنا عوضها كذلك بضائع من دون ان يكون للنقود فيها دخلٌ اذ ان الانسان قد ساقتهُ الضرورة الى ايجاد طريقة اسهل من النقود للتبادل بين بلدين وهي السفتجة (بولصة) فتجري الاشياء على هذا المنوال. مثلاً ان تاجراً في بيروت ارسل بشرائق الى صاحب معمل في ليون فيضحي الاخير مديوناً بقيمة هذه البضاعة وان تاجراً من ليون قدّم سلعةً من حرير الى صاحب مخزن في بيروت فهذا لكي يفي دينهُ الى تاجر ليون يأخذ تحويلاً او سفتجةً من تاجر بيروت على غريمهِ لتُدفع الى تاجر ليون وبهذه الصورة يكون قد جرى التبادل من دون انتقال في النقود

وقد سبق القول اني لا انفي امكانيّة دخول النقود لسدّ رصيد الواردات والصادرات بمبلغ طفيف وذلك لاسباب شتى منها ورود مسافرين حاملين نقوداً او قلة النقود الغير الاعتيادية في بلدٍ فيوافق حينئذٍ جَلبها اليهِ كما يناسب جلب سلعة نادرة الوجود. وعلى كلا الحالين فلا تُشلم حجارةٌ من اساس ادّعائي بان الواردات

توازي الصادرات لانَّ النقود هي نوعٌ من البضائع التي تتألَّف منها الثروة ليس الَّا

نقص اللوائح الرسمية في الصادرات والواردات

ولا بُدَّ ممن يتطلي منبر الاعتراض فيدافع قائلًا تُرى وما عسى تكون اللوائح الرسميَّة الصادرة من الحكومات بعضها ينبئ عن زيادة الاخراجات وبعضها يُفصح عن زيادة الادخالات. أُجيب على ذلك ان هذه اللوائح يجب بالطبع ان تكون مغلوطة او غير كاملة لاسباب عديدة. منها: ١ً لعدم حساب النقود الداخلة والخارجة او ما ينوب عنها مثل البانقنوط والسفاتج التي يحملها المسافرون. ٢ً لعدم تقييد البضاعات المهرَّبة. ٣ً عدم الإقرار بقيمة كثير من السلع. ٤ً عدم الضبط في تعيين الاسعار ٥ً ان البضائع الصادرة تتثمَّن بقيمتها في البلد الطالعة منهُ والبضائع الواردة تُحسب بالقيمة المعروفة في البلد الداخلة فيه وفي ذلك تباين عظيم اذ إنَّ البلد الذي يقدِّم بضاعة يستوفيها بموجب القيمة المعروفة في البلد الداخلة فيه والسلع التي تدخلهُ يفيها بالسعر الجاري في البلد الخارجة منهُ

بيان اغلاط اصحاب الميزان التجاري باغلاطهم

هذا وان كان ما اثبتُّهُ كافيًا لردّ ضلال اصحاب الميزان التجاري لكن لزيادة في الايضاح احبَّ ان أُبيِّن شناعة اغلاطهم باغلاطهم

قد زعموا ان كلَّما زادت الاخراجات على الادخالات زاد البلد ثروةً وغنًى والعكس بالعكس. فلنفرض ان تاجرًا بالشرائق في بيروت ارسل من بضاعتهِ الى ليون بمبلغ ثلاثة آلاف ليرة وان وكيلهُ قد باعها لسببٍ من الاسباب بالفي ليرة فقط وقدَّم لهُ عوضها حريرًا فعلى مذهب اصحاب الميزان التجاري وان كان التاجر البيروتي قد خسر الف ليرة لكن لسبب نقصان الادخالات عن الاخراجات ربحت بيروت الف ليرة. واذا عكسنا القضيَّة وفرضنا ان الشرائق بيعت باربعة الاف ليرة فيكون التاجر البيروتي قد ربح الف ليرة غير ان بيروت تكون قد خسرتها وعلى ذلك ان ما يربحهُ السكَّان تخسره المدينة. فيستوجب اذن غنى بيروت خسارة تجَّارها. وان لم يفتحوا لوجه الضرر بابًا لحذاقتهم وبراعتهم في الاشتغال فالاجدر بهم ان يلقوا في البحر السلع الواردة الى ميناء بيروت قبل تقييدها

في سجلات الكمرك فيضحي ما تبتلعهُ الامواج ربحًا هنيئًا للمدينة . وهذه هي الواسطة الوحيدة لجعل الصادرات تُنيف على الواردات

فاذ قد ثبتت من كل الوجوه فظاعة أغلاط اصحاب الميزان التجاري ارى من المناسب ان آتي بملاحظة أخرى وهي ان كان من المستحيل ان تزيد الواردات على الصادرات فقد يصدف احيانًا ان الاخراجات تزيد على الادخالات وذلك بجلاء عيالٍ غنيَّة و برحيل رجال العقل والذكاء او باقامة اصحاب الاملاك في الغربة وجلبهم غلاتها فهنالك تكون الخسارة العظيمة ليس بزيادة الواردات بل بنقصانها عن الصادرات

النتيجة

من نتائج هذه الاوهام الوخيمة انها أولدت بين الشعوب الشحناء والمراقبة . فالأُمَّة التي نتوهم انها قد أغرقتنا ببضاعتها نجعلها هدفًا لسهام القدح والقذع لتيقُّننا انها تسلب مالنا وتختلس ثروتنا كأن ما تُرسل به الينا ليس لهُ قيمة ولا ثمن او كانَّ ما نقدّمهُ اليها لا ربح لنا فيه . وهذه الاوهام لم تكن تضرب اطنابها بين الرعيَّة فقط بل انها هجمت على عقول الحكَّام الذين بيدهم زمام امور الامم . ومن ذلك حصلت المشاحنات والمكاشحات الدوليَّة التي جعلت مبدأ سياستها الخارجيَّة تزييد اخراجات بلادها على ادخالاتها لعلمها ان من ذلك تتحصَّل ثروتها . فبثت الثغور والتخوم وضربت الرسوم الباهظة على الواردات ولكن فاتها ان كلما قلَّت الواردات قلَّت الصادرات . وتسلَّط عليها حبّ توسيع دائرة نفوذها والاستيلاء على املاك الشعوب الضعيفة واطنَّ بارجلها حقوق الشعب وواجبات الامم . وللبلوغ الى هذه الغايات كثَّرت عسكرها وسلَّحت جنودها ولم تضنَّ بحروبها . وان تُوقرهُ بالضرائب فرزحت الشعوب واستقوست تحت هذه الاحمال الجبال . ولا مشاحَّة ان قلتُ ان هذه الاوهام هي من جملة الاسباب بل ومن اقواها للشرور التي عبثت بالعالم . وكفى بذلك تبصرةً لأُولي العقول السليمة ولاصحاب المبادئ الصحيحة القويمة . والله يهدي من يشاء ان الله كان هاديًا

(المشرق) اثبتنا هذه المقالة بحرفها وان لم نوافق كاتبها في قولهِ عن تساوي الصادرات والواردات . وعندنا انَّ لاصحاب الميزان التجاري حججًا قويَّة للمدافعة عن رأيهم فان احبَّ احد قرَّائنا بسطها في مجلتنا اثبتناها

الطائر الخفّاق على اطلال العراق

لحضرة الاب البارع انستاس الكرملي البغدادي

١ عقرقوف القديمة (لاحق بسابق راجع المشرق ٣ : ٨٦٥)

قال اوليفيار: «وعلى الباحث الاثريّ ان يرجّح انّ هذا البناء مصمت بما انّ المأكول منهُ من الجهتين الجنوبيّة والغربيّة يكاد يبلغ حشاهُ ومع ذلك فانهُ لم يُرَ فيهِ تجويف البتّة. ومداميك اللَّبِن وأدماص القَضَض وأضداد القصب موضوعة في الداخل نفس وضعها في الخارج. وترى فيهِ نفس الخُروق المربّعة التي ألمعنا اليها فُوَيق هذا وفي الصفح الشمالي منهُ عند ثلثي سمكهِ فتحة اشبه شيء بباب. ولا جرم انّهـا فُتحت لمّا اراد المنقّبون البحث عن هذا الاثر الجليل. والدليل على ذلك ان حروف هذه الفتحة منحوتة نحتًا مُضرَّسًا وليس فيها لَبِنة صحيحة سالمة. وعلى بُعد ١٠٠ قدم من هذه الفتحة ونحو الجهة الجنوبيّة نَشَزَ سمكهُ بضع قامات يتحقق الناظر اليهِ انّ ثَمَّ جدرانًا متينة مبنية بالآجرّ وقد اعتبرناها بقايا ابنيةٍ سابقة ومن عهد الصرح بحيث انهُ من الممكن ان تكون عقرقوف موضع بلدة قديمـة عاديّةٍ.

«وربَّ سائلٍ يسألني هنا: وما كانت الغاية من هذا الصرح؟ قلتُ: من المؤكّد انهُ لم يكن قصرًا ولا معبدًا لا بل ولا حصنًا. فلو كان يُرى على احدى صفحاتهِ آثار مرقاة يُصعد بها الى قتهِ او يُرى اثر باب هناك لدُفعنا الى الظن بان هـذه المرقاة قد وُضعت في الداخل ولرجّحنا الرأي القائل بان هذا البناء كان مرصادًا يُرصد منهُ قدوم او هجوم العدوّ. ولعمرك ماذا عسى يكون اذن الغرض من بناء قد أُقيم على دَهاس وعلى بُعد ٦ ساعات من الفرات و ٤ ساعات عن دجلة و ٥ ساعات او ٦ عن سور سَمِيرام. ويبلغ سمكهُ ما يُربي على ١٠٠ قدم؟ أليس لكي يكون منظرةً يشرف منها البابليون على دنوّ اعاديهم منهم. أجل ان موقعهُ وارتفاعهُ في الجو صُمْدًا يمكّن الانسان من تسريح طائر ناظرهِ الى بُعد شاسع واطلاع اصحابهِ بعلامات عرفيّة على ما يُرى عن بُعد. غير انهُ اذا عدل الرجل عن هذا الرأي مفكّرًا انهُ من العجب العجـاب ان تُنفق المبالغ الطائلة على تشييد بناء ضخم ايّ ضخامة غايتهُ الاستشراف على العدوّ فما عليهِ بعد ذلك الّا ان يذهب الى المذهب القائل بان البابليين حذوا حذو المصريين في اقامة الصروح

تخليداً لذكر مشاهير ملوكهم ولدفن رفاتهم. فاقاموهُ على هيئة مربَّع عوضاً عن الهَرَمي لقصور هـذا الشكل عن مـاورة الرياح ومقاومة الأمطار لما فيها من المواد الرخوة السريعة الانحلال. وعلى هذا الرأي يُرجَّح ان تلك القارات والقفاف التي تكلَّمنا عنها لم تكن الَّا بقايا هيكل وبيوت سدنتهِ اقاموها حول ذلك البناء كما يُرى مثل هذه الابنية حول الاهرام (١»

امَّا كنَّير (Kinneir) فيعتـبر هذا المكان موقع ستَّاقي (Sittace) المذكورة في كتاب زينوفون وهي لا جرم من الواجب ان تكون واقعةً في تلك الديار. ويُقدَّر ارتفاع عقرقوف ما يبلغ ١٩٠ قدماً وهو يرى رأي كير پورتر (Ker-Porter) انهُ من عصر أخربة بابل لكن بناءهُ أتمّ (٢

امَّا بُكنگام (٣ الذي كان معهُ الأثري بلّينو (Bellino) فذهب الى ان شكلهُ في سابق الزمن كان هرميًّا وقابل لبنهُ وقصبهُ بابن وقصب تنيس على مدالث النيـل (le delta du Nil)

امَّا رفيقهُ بلّينو فقد ذهب الى ان عقرقوف مدفن ليس الَّا. وقد فتَّش فيهِ كير پورتر معلَّلًا الامَل على وقوعهِ على كتابات مسماريَّة فلم يجد شيئًا. وظنَّ ان اغلب ابنية بغداد أقيمت من اخربة عقرقوف (كذا بحرفهِ) كما انَّ الحلَّة وغيرها من المدن والقرى بُنيت هناك من أخربة بابل. ومن رأيه ايضًا انَّ البناء الشاخص اليوم هو من اقدم ابنيـة الاشوريين وربَّما كان برجًا من ابراج بعل كما كان يوجد منهـا في بلاد بابل وفي كلّ مدينة بابليَّة بوجه العموم. وقد سمع بلّينو الترك يسمونهُ: « نمرود تيَّه سي » (كذا)

ومِمَّا جاء من وصف عقرقوف الملاحظات التي ذكرها فرازَر (Fraser) الذي جاء بغداد مرَّتين فقال مستنتجًا: بما انَّ البنـاء البرجي الشكل مبنيّ من اللبن وان النبيثة المنبثَّة عند حضيضهِ هي من قطع لبنهِ فان ذلك الصرح هو عبارة عن نواةٍ تُرع عنها قشرها. فقد وجد فيهِ طبقات متقابلة من القصباء في حالة رخصة اي رخوصة حتى ان جواد المعلم روس وهو احد رفاقهِ اخذ يعلفهُ بمنزلة التبن. ورأى هذه الطبقات عن بُعد

(١ Olivier : *Voyage...T. II, p. 432, 433, édit. in - 4°*

(٢ Macd. - Kinneir : *Memor. of the Persian Empire, London* 1813-1814 ; p. 252 ; *Cfr. aussi* Ainsworth : *Researches in Babylon, Assyr. etc p. 175*

(٣ Buckingham. - *Travels in Mesop. etc. p. 375, 401* اطلب

يُظهر البناء في مظهر مضرّس. والبناء على ما هو اليوم لا شكل لهُ وفي جهتهِ الجنوبية فتحة وعلى نحو منتصف علوهِ غارٌ لا يمكن ان يكون الّا مسكنًا لبنات آوى. وأصغرو رفاق فرازر سنًّا دخلوا غُرَيفة منحوتة في ذلك الغار. لكن التراب وجيشًا عجيبًا من الحفافيش باغتهم على غفلةٍ منهم فصدَّتهم عن رؤية شيء من الاشياء. وقد ذهب روس الى ان هذا الأطم قد أُقيم لمعرفة الجهات. وهذا ما يدعم ايضًا رأي كير پورتر. وفرازر لا يذكر اقيستهُ لكنهُ يذكر مقاديرَ واحد من المهندسين الايطاليين قائلًا انهُ رجد عقرقوف أعلى من برج نمرود من اخربة بابل (١)

وغنك عنان القلم عند هذا الحدّ من ذكر الشواهد بهذا الخصوص فانها لا تُحصى وان كانت نادرة الوجود. وانما انتقينا منها الشواهد القديمة ليقف القارئ على ان الافرنج كانوا ولم يزالوا من المحققين المدققين في كل امر وعصر. وفي كل آن ومكان. حتى انهُ لولا تفاصيلهم لما حصلنا على شيء من الفوائد والمعلومات عن هذا البناء الجليل لانهُ على شفا الزوال والاضمحلال. ولان العرب في ايام فتوحاتهم لهذه البلاد لم يذكروا شيئًا او ذكروا ما يكاد يكون كالعدم مع انهُ من الابنية التي تستوقف دغمًا عن اغضاء عيني الجاهل في هذه الديار

٢ عقرقوف الحالية (القسم الثاني)

اذا سألتني ما معنى عقرقوف؟ اجبتك على الفور: لا أعلم شيئًا. نعم ان العرب افاضوا في تفسير هذا اللفظ الغريب وتكلّفوا لهُ معاني مختلفة غير انها كلّها لا تتعدّى طور أضغاث الاحلام. ولهذا نسكت عن ذكرها صونًا لشرف مؤرّخيها. امّا الافرنج فلم يبدوا بعد رأيًا بهذا الصدد لان الحرف ليس بعربي بل اشوريّ او كلداني وهو معروف قبل فتوح هذه البلدان على ايدي العرب. امّا آخر مَن وصف في ايّامنا هذا الصرح القديم فهو واحد من علماء الآثار الاميركيين في كتاب هذا عنوانهُ: Peters: *Nippûr, or Explorations and Adventures on the Euphrates. - First campaign, p.* 188,189 ولهذا فاننا نلخّص عن هذا الكتاب ما لم يأتِ بذكرهِ

(١ Baillie Fraser: *Travels in Koordistan, Mesopot., etc. London 1840 in 4° vol. II, p. 163*

الافرنج الاسبقون ونعقّب كلام المؤلف بشيء مما حقّقناهُ بنفسنا لكي لا يفوت القارئ فائدةٌ :

« انَّ هذا التلَّ قائم على نشز وحولهُ كسرٌ من الآجرّ والفخّار من جميع الاشكال مع قطع من الزجاج وعلى رأي هِلپرخت Hilprecht ان سمك هذا البرج ٩٦ قدماً (١ . امّا زواياهُ فتكاد تكون متجهة نحو الخوافق وليس فيهِ من الطاباق (٢ شيء . وانما هو مبنيّ من اللبن طول الواحدة منهُ وعرضها ٣٨ سنتيمترًا ونصف سنتيمتر (٣ واللبن كلهُ مستوٍ وليس محددًا من احدى الجهات كما في نُفَّر (٤ . ويُرى في الجهتين الجنوبية والجنوبية الشرقية من التلّ غاران صغيران وعند الجنوب والشرق والغرب يرى السائح آكاماً مختلفة القدر (٥ . وعند الجنوب « التراجف » ووراءها « خرْنابات » وفي الشرق « تلّ الذهب » . وفي الجهة الغربيّة والشمالية الغربيّة والشمالية آجام ومستنقعات عظيمة يُطلق عليها اسم « هور الحُصَيّ » (٦ واذا استشرق الناظر الاقطار المجاورة يرى تلالًا عديدة في جهات مختلفة وتُرعًا كثيرة تخذُ خذًا وجهَ الارض ومرجعها الى قريب من عقرقوف . وكانت تُرى بغداد (٧ شيئًا قليلًا

---

١) كذا . والذي حقّقناهُ ١٠٢ وان نقصت فتُقل ٣٤ مترًا

٢) هذا اسم الآجرّ عندنا وهو عربي من اصل اعجمي كالآجرّ

٣) كذا في الاصل المطبوع وقد قِسنا كثيرًا منها فوجدناها غير مفرغة في قالب واحد فمنها ما ألفينا تربيعها ٣٩ سنتيمترًا لا ٣٩ والبعض كان تربيعها ٣٠ سنتيمترًا ووُجدت طائفة منها قد نقصت عن ٣٩ لكن لم نرَ منها ابدًا ما أربى على ٣٠

٤) ولا تقل هذه الكلمة بصورة اخرى وهي بالافرنجية (Nippur)

٥) قلتُ : واسم التلّ الذي في غربي عقرقوف « التلّ الابيض » وبجانبهِ تلول اخرى اسمها « التُلول السُمر »

٦) قلتُ : وفي الاصل المطبوع : Khor-el-Hosai وهي كتابة واضحة الخطإ لان العراقيين يميزون بين الهَور والحَور كما يميزها اللغويون . فالهَور هو ارض واطئة يندفع اليها مياه فياض وآجام واصبار فتتّسع vaste terrain bas sujet aux inondations واما الحَور والبعض منّا يقول الغَور فهو على ضدّين فعرب خليج فارس يريدون بهِ الضَحضح او الضحضاح واما عرب العراق فيريدون بهِ المنخفض من الارض . واما قولهُ : « يُطلق عليها اسم هَور الحُصَيّ » ففيهِ نظر لان هناك هَورَين كلّ واحد منهما منفصل عن اخيهِ انفصالاً بيّنًا واسم الثاني : « هور الدَّادَه »

٧) في يوم رحلة هلپرخت

في الجهة الجنوبيَّة الشرقيَّة. واماَّ قُبب مَشهد الامام موسى الكاظم ومناورهُ فكانت تبين في الجهة الشمالية الشرقيَّة

« وبدون حفر وتنقيب لا يكاد يمكن ان يقال قولٌ شافٍ وافٍ ما كانت عقرقوف والى اي عصر ترجع. فقد وُجد ثمَّ آجرٌ مكتوب عليهِ اسم كوريكالزو Kurigalzu ويُظنّ انهُ كوريكالزو الثاني من دولة كوساكون Cossacon الذي ملك في بلاد بابل من سنة ١٣٠٦ الى ١٢٨٤ ق.م. وقد اختطَّ الموضع رجلٌ اسمهُ دُور كوريكالزو Dur-Kurigalzu. وقد شاع شيوعاً بين عدد عديدٍ من العلماء ان تلك الأخربة هي بقايا زِقُورةٍ قديمة (١ لكن لم يتبيَّن لي ذلك كذلك في الرحلتين او الثلاث التي فحصتُ فيها عقرقوف بل أميل الى القول بانهُ بقايا برج قديم او حصن حصين كان يُقصد منهُ حراسة وسط الترعة العظيمة. وفي عهد الخلفاء العباسيين ذُكر هذا التلّ باسم عقابة (٢ كأنهُ علَم مهمّ واقع على الترعة بين الانبار وبغداد

« وفي موطن من مواطن تلك النواحي او في الجوار نحو الجنوب كانت تقوم سابقاً في عهد يوليان المارق مدينة مَدگمالاثا Madgamalacha التي كانت تصدُّهُ عن تقدُّمهِ الى قطيسفون بعد اخذهِ الانبار. وبعد ان قاومتهُ مقاومة الآنس القنوط تغلَّب عليها ودوَّخها وخرَّبها » اه التعريب

وزيادةً على ما مرَّ نقول: ومن الأهوار المشهورة: « قاع بَهلولي » وهو بازاء الحُصَيّ

١) راجع معنى الزقُّورة وصورتها في المشرق (٣: ١٠٥٢)

٢) قلتُ: ولا أرى كيف انتقل هذه الكلمة الافرنجيَّة بهذه الصورة Akakuba فقد بحثت بحثاً طويلاً عن هذه الكلمة وممكنات كتابتها بالعربيَّة فرجعت عنها أخيب من القابض على الماء ولهذا أرى السير هلبرخت مع علمهِ الواسع في التاريخ واللغات الشرقية قد وهم وهماً بيِّناً لانك اذا رجعت القهقرى الى صدر الاسلام ترى ان هذا التلّ كان معروفاً باسم عقرقوف (كتاب فتوح البلدان للبلاذري. طبعة دي گُوِي De Goeje ص ٣٠٥) وفي يومنا هذا معروف ايضاً بهذا الاسم عينهِ. فكيف يمكن إذن ان يكون قد صُحّف في عهد العبَّاسيين فقط ثمَّ رجعوا بهِ الى أصلهِ بعد ذلك. فهذا كلُّهُ من البعيد. وعلى كلٍّ فاننا نلتمس من حضرة العلامة هلبرخت او من غيرهِ ان يفيدونا في أيِّ مؤلَّف عربيٍّ يرى ان عقرقوف كان معروفاً باسم Akakuba. وقلنا « في مؤلَّف عربيّ » لاننا نرتأي بان الاثري الشهير عثر على هذا الاسم في كتاب افرنجي العبارة. وكثيراً ما نرى الافرنج يصحّفون ويمسخون الالفاظ العربيَّة لجلّ امتهم من حروفنا ولضعف جهاز صوتهم وخلقهم عن مجاراتنا في اللفظ »

ثمّ العناية ثمّ الدادة (وقد ذُكر) ثمّ ابو شجر وهو هور عقرقوف الحقيقي الخاصّ به. اما مياه هذه الانهار فتأتي من الوشاش (١ ومن قرمة الدوانية التي هي من فروع الفرات (٢

اما ارض عقرقوف فتُزرع حنطةً وشعيرًا وماشًا وسمسمًا ولوبياء وشلجمًا (شامغمًا. ولا تزد على ذلك). والعرب الذين يتولون زراعة تلك الاراضي يُعرَفون باسم عرب (اي أعراب) سُهيل من بني تميم او عرب بني صالح. واسم شيخهم اليوم «الشيخ سُهَيْل». واما النبات الذي ينبت من ذاته في تلك الاراضي فهو السَجِل وهو كثير غزير فيها ويُشبه القصب الدقيق ومنهُ أُخذ ما وُضع في تلّ عقرقوف ضمائمَ مستطيلة منضّدة تنضيدًا. والقصب والشوَيل والقُرقر والعشرق والعاقول والبَرْبِنت والثيل

واما طيرُها فهو نُغَيْج الماء (البجع pélican) والشُهَيْبي وغاق الماء والكرسوع والعويدي واللقلق والقطا والغُرْغر والشِورّ والعنّاز والطُليل والقنبر والدحروج والسُوّاد وطير الليل والخفّاش (مقلوب الخفّاش)

هذا ونقف عند هذا الحدّ من هذا الموضوع قائلين: في يوم ذهابنا الى عقرقوف وُجدت قِطَع من الآجرّ مكتوبة بالحرف المسماري وقد قدّر العارفون بهذا الفن انها من عهد عَمُورابي فيكون البناء قديمًا أقدم ممّا تصوّرهُ العلامة هلبرخت

الصداع او وجع الراس

للدكتور فيلب بركات طبيب المستشفى الافرنسي في بيت لحم

كثيرًا ما يُدعى الطبيب لمداواة الصُداع والصداع كما لا يخفى ليس بداء مستقلّ قائم بذاته فلذلك احببتُ قبل ذكر علاجهِ ان ابحث في اسبابهِ

اسباب الصداع

للصداع اسباب عديدة لا بُدَّ للطبيب ان يتحرّى في السؤال عنها ليداويها كما تقتضي الحال. فمن ذلك معرفة الصنعة او الحرفة التي يتعاطاها العليل فان كان دهّانًا او

١) ترعة من ترع دجلة

٢) المراد بالقرمة عندنا الترعة. وهي وان عظمت يمكن سدُّها بطين النهر ومنهُ اشتقاق اللفظة

يشتغل بالالوان الكيموية والدهون وما شاكلها ظهر بديهياً سبب العلة وتسنى للطبيب علاجها . وكذلك تفيد الطبيب معرفة احوال المريض السابقة كما لو أصيب بالداء الزهري او بنوبات النقرس او البول السكري او الزلالي فان كل هذه الاسباب تستدعي علاجاً خصوصياً . واذا لمس الطبيب رأسَ العليل فشعر لذلك بوجع خفيف فذلك دليل على انَّ سبب الصداع من الداء العصبي ولاسيما الروماتزم . واذا وُجد ارتفاعاً او انخفاضاً في الجمجمة كان سببهُ الورم ويعالج بالجراحة .

ومن اسباب الصداع العلل التي تصيب النخاع الشوكي فيكون الصداع معها حاداً مزعجاً ترافقهُ اعراض عديدة . اما الصداع الذي يحدثهُ التهاب اغشية الدماغ ويصحبهُ الكُتام اي التخمة والقيء فهو قاتل لا محالة . وكذلك ترى الصداع يرافق الجدري والحميات التيفودية والقرمزية والملارية وحتى الضنك وربَّما بقي بعد الشفاء منها في طور النقاهة

ومن الصداع ايضاً ما يكون ناتجاً من علة تطرأ على بعض الحواس كامراض العين والاذن والانف . ويُصاب الرأس بوجع اذا اعتلَّ الجهاز الهضمي ورافق عأتهُ الكتام . وكذلك المسكرات فانَّ الافراط في شربها يولِّد الصداع . واما وجع الرأس الذي يصيب النساء العليلات بالهستريا والرجال المبتلين بالنوراستينيا وداء النقطة فعلاماتهُ معروفة يسهل على الطبيب تشخيصها

علاج الصداع العسوي والوقاية منهُ

واذ قد علمت ايها القارئ اللبيب اخصَّ اسباب الصداع فبقي ان نبيِّن الطرائق العلاجيَّة التي تشفي هذا الداء او تقي منهُ فنقول :

ان الرياضة البدنيَّة والاقتصاد في الأكل والمشروب والامتناع عن التدخين وشرب المياه المعدنيَّة من افضل الطرق لمعالجة الصداع . وكذلك تجنُّب الانفعالات النفسيَّة . واذا جاءت النوبة وصحبها القيء تعذَّرت النجاة منها وافضل دواء اذ ذاك للصداع الانتيبيرين (antipyrine) فيجرع العليل منها من غرام الى ٣ غرامات . وبعض الاطبَّاء يستعملون المخدرات كالافيون والحشيش والكينا والقهوين (caféine) وغير ذلك مما لا يسعنا ذكرهُ في مقالة وجيزة مثل هذه . وكثيرون يلتجئون الى الماء البارد فيمزجونهُ بشيء من الخل ويتضمخون بهِ جبهتهم وهذه الوسيلة سهلة لا بأس من

استعمالها خصوصاً اذا كان العقل والجسم في الراحة. وممَّا اختبرتهُ من الوسائل لشفاء الصداع اني منعت المصدوعين عن القراءة والمطالعة بعد الاكل فزال صداعهم

واما وجع الرأس الذي ينتج عن الزهري فدواؤهُ الاستحضارات الزئبقيَّة واليودور وهي من خصوصيَّات الطبيب. وكذلك الصداع الناتج عن فقر الدم فدواؤهُ الحديد واستحضاراتهُ المديدة. وانجع دواء للصداع المسبَّب عن البول الزلالي شرب اللبن. ولمعرفة هذا الداء اعراض أُخرى غير الصداع منها الارق وعسر التنفس وانتفاخ الاجفان

ومن الصداع ما يكون عرضيًّا يحدث لمن يجلس في غُرف ضيقة تُشعل فيها النار فيفسد هواؤها بما يتكوَّن فيها من الحامض الكربونيك السامّ. وقد رأيتُ مصدوعين نتج صداعهم عن اختلال حدث لعيونهم فشفيتهُ بان فرضتُ عليهم استعمال النظَّارات (العوينات) التي تقصر نظرهم او تُطيلهُ او تقوِّمهُ. ومن علامات الصداع الناتج عن الحمى المالارية انهُ يعود في اوقات معلومة وعلاجهُ بالكينا تؤخذ قبل نوبة الصداع بست ساعات على الاقل. هذا ما توصَّل اليهِ الطبّ في شأن الصداع كتبتهُ ملخَّصاً

انتقاد على
الكلم اليونانية في اللغة العربية

للكاتب الفاضل الخوري ميخائيل حويس (تابع لما سبق)
الدِّمس (راجع المشرق ٢: ٢٤٨)

قال حضرة الاب انستاس في تعريفهِ: «هو كل عَرَق من الحائط خلا العرق الاسفل. تعريب δόμος »

اقول لا مريَّة ان كلمة دمص أعجمية وقد صرَّح بذلك غير واحد من اللغويين. والأوجه عندي انها معرَّبة عن كلمة بُمعضا (دمس) السريانيَّة ومدلول الكلمتين واحد وهو الساف في الحائط من حجارة او لبن. ومن طالع هذه المادَّة في المعجم السرياني رأى انَّ لها مشتقات وتصاريف خلافاً لغيرها. ولا يخفى ان الحرف الاخير من الكلمة اليونانيَّة ليس فيها اصلاً وانما هو علامة الإعراب ليس الَّا. اما الكلمة السريانية فاحرفها كلها أُصول

ثمَّ انَّ اكثر سكَّان لبنان وفلسطين يلفظونها ويكتبونها بالسين طبقاً لاصلها

السرياني وانت اذا اعتبرتَ ما تقدَّم قضيت بتخطئة المعاجم العربيَّة التي ذكرتها في مادَّة دمس. وعرفت ايضاً جهل ارباب تلك المعاجم سنَّ عزا كتابتها بالسين الى العامَّة ورأيت أن الصواب فيما قالتهُ العامَّة وجهلتهُ الخاصَّة لاسيما اذا عرفت ان الدال والميم والصاد لا تجتمع في كلمة عربيَّة. قال صاحب التاج نقلاً عن ابن فارس: الدال والميم والصاد ليس عندي اصلاً اي ليس بعرَبي فصيح. ناهيك عن ان كتابتها او لفظها بالسين ليس فيهِ ما يخلّ بقواعد المعرَّبات (١

وأذكر في هذا الصدد كلمة المدماك لانَّا اذا ما سألنا بنَّاني بيروت ورازقتهم (جمع رازٍ وهو في اللغة رئيس البنائين خاصةً) عمَّا يفهمون بها أجابونا هي في اصطلاحنا صف من الحجارة في الحائط. . فيظهر لنا ان دلالة هذه اللفظة من حيث المعنى هي نفس دلالة كلمة دمس على ما مرَّ واشتقاقها يقاربها ايضاً وعليهِ ارى انها مشتقَّة منها ايضاً اذ ليس في اصل هذه الكلمة شيء يؤيد عربيَّتها فهي اذاً تعريب مدماس بعد إبدال الحرف الاخير منها بكاف وهي لغةٌ لبعضهم. او لعلَّهم أبدلوا السين بالجيم اولاً فقالوا في مدماس « مدماج » كما قالوا في ليل دامس « ليل دامج » ثم ابدلوا من الجيم كافاً فقالوا « مدماك » كما قالوا في دمجت الارنب « دمكت » اي اسرعت في عدوها. هذا ولا اكثر من الإبدال في الكلمات التي عرَّبوها بل هو شأنهم ايضاً في كثير من الاحرف العربية القحَّة على ما مرَّ بك في كلمة العربد (راجع المشرق ٤ : ٧٧)

وليست كلمة المدماك من بقايا آثار السريانيَّة في الديار الشاميَّة كغيرها من الكلمات الكثيرة بل هي من الكلم التي تكلمت بها العرب قديماً في العراق والحجاز وقد روى الاصمعي ليعضهم: ألا يا ناقض الميثا قِ مدماكاً فدماكا

العَرَق (راجع المشرق ٢ : ٢٤٨)

هي بمعنى الدمس ايضاً قد قضى بتعريبها عن δρκος وانكر عليهِ حضرة المدقق الاب لمنس تعريبها عن الاصل المذكور . . .

اقول: انَّ الكلمة بمعناها المذكور عربيَّة محضة وهي مأخوذة من العِرق. ولا يخفى وجه ذلك على المدقق الباحث في علم اللغة والاشتقاق على انَّ من تصفَّح هذه المادة يرى ان سائر مشتقاتها وتنوُّعاتها ودلالاتها بين لفظيَّة ومعنويَّة وحقيقة ومجاز ترجع الى

١) ارتأى بعض المستشرقين انَّ الدمس مشتقَّة من السريانية واصل اللفظة السريانية من اليونانية ه . ل

اصل واحد في الاغلب الاعمّ وكذا الحكم في سائر المواد اللغوية اللهمّ الا ما يتخلّلها من غريب اللغات . ولعلّنا نعود الى الكلام في هذا البحث في فرصة أخرى

وقد استعارت اللغة السريانيّة قديمًا من شقيقتها العربيّة فرعًا من مشتقات الكلمة المشار اليها . والعارية هي كلمة ܚܕܘܬܐ وقد وقعت في شعر القديس افرام قال :

ܡܢܐ ܕܐܢܐ ܚܕܘܬܐ ܐܘ ܒܚܕܘܬܐ ܚܕܬ

وعرفها السريان كما عرفها لغويّو العرب بانها خشبة توضع معترضة بين سافي الحائط لتربط خلالهُ

الفَلَج (راجع المشرق ٣ : ٤٦٠)

بمعنى النهر الصغير قطع بتعريبها عن « πέλαγος » وعرّف هذه بالبحر والعباب والمياه الزائدة او الطاغية في النهر

اقول : ان مادّة فلج التي ذكرتها المعاجم العربيّة هي برمّتها سريانيّة لا حظّ لها من العربية في شيء كما ستعرف . والفلج هنا مأخوذ من فلجًا مصدر فكي فَلَجَ بمعنى شقّ والفلج هو في الاصل مَشقّ في الارض وغيرها وقد غلّبوهُ على ما يحدثهُ السيل او يجري فيهِ ويقابلهُ في العربيّة الجدول او السريّ . والى هذه المادة ترجع كلمة الفالج للداء المشهور وقد جزم بتعريبها فقال حضرتهُ :

الفالج (راجع المشرق ٣ : ٨٤٤)

« انها تعريب ἡμιπληξία باسقاط الصدر وابقاء العجز ومعناهُ المُصاب او المضروب بنصفهِ او شقّهِ . وليس عربيًا كما توهمهُ جمهور اللغويين لانهُ لو كان عربيًا فصيحًا مشتقًا من فلجهُ بمعنى شقّهُ فلجين اي نصفهُ لكان حظ المعنى للنصف الواحد كحظّ معناهُ للنصف الآخر والامر على خلاف ما يُظنّ »

اجيب : انّ اللغويين قد اضطربوا في تحقيق هذه المادة ومعرفة وزن فعلها الثلاثي وتعديتهِ ولزومهِ الخ . وكل ذلك ادّعاء انها عربيّة كما انهم اضطربوا في اشتقاق امثالها من الاحرف التي اخذوها من السريانيّة ولوهمهم انّها عربيّة خبطوا في معرفة اشتقاقها خبط عشواء . وسأفرد لذلك مقالة خاصة ازفها الى قراء المشرق الكرام قريبًا ان شاء الله . اما كلمة الفالج فقد صرّح ابو عبيد وغيره ممّن عُني بجمع ما تكلّمت بهِ العرب من الكلام الاعجمي كالجواليقي والخفاجي وغيرهما انها مأخوذة عن السريانيّة من كلمة «فالغا» وعرّفوها بانها قفيز او مكيال ضخم وكذا فسروا ايضًا بيت النابغة الجعدي :

ألقي فيها فلجان من مسك دار بنّ وفلج من فافل ضرم

والصحيح ان المادة برمّتها معرّبة عن فلجا كما قدّمنا ومعناه الشقّ والشطر . وعليه يكون تعريب الفالج عن فلجا وهو اسم فاعل ومعناهُ الناصف (١ اي الآخذ نصف الشيء او احد شقّيهِ . وقول العامّة « سقط عليهِ فالج » لمن أصيب بهِ هو تعبير سرياني محض كما لا يخفى

امّا قولهُ « فلو كان الفالج من فلجهُ بمعنى شقّهُ نصفين لكان حظ المعنى للنصف الواحد كحظ معناه للنصف الآخر » . فقد يصدق في بعض الاعتبارات وليس على الاطلاق . فقد قالوا نصفتُ القدح اي شربت نصفهُ فما ثبت للنصف الواحد لا يصدق على النصف الآخر . وكذا قسّ فلج وامثالهُ . ومثل الفالج قالوا في الشقيقة فانهم عرّفوها بانها وجع يأخذ نصف الرأس وهي من شقّ كفلج

الأُم (راجع المشرق ٢ : ٤٩٠)

الأُمّ . لِأُم الدماغ وهي جلدة رقيقة يكون فيها الدماغ . قال : « انها معرّبة عن (ἔλαμις) فعرّبوها اولًا ألأم بعد تجريد علامة الإعراب عنها ثمّ تصوّروا ان الألف واللام للتعريف الخ » ثمّ قال « ان معنى الكلمة اليونانيّة غطًى وليس في العربيّة اشتقاق يثبت ما تدلّ عليهِ » . اه

اظنُّ انهم لم يتوهموا فيها كل هذا الوهم اذ ليست الكلمة بمشتقّة اشتقاقًا بل هي من مصطلحاتهم فان العرب قد ألفوا ان يكنّوا بالام عن كلّ ما انضم او أُضيف اليهِ اشياء كثيرهم من الامم وذلك على سبيل المجاز . فقالوا أُمّ القوم لذوّابتهم او رئيسهم . وامّ النجوم للمجرّة ومنهُ قول تأبط شرًا :

يرى الوحشة الانسَ الانيس ويهتدي بحيث اهتدى أُمّ النجوم الشوابك

ومن ذلك ايضًا امّ القرى لمكة . وكذا قالوا ام الدماغ للجلدة الجامعة لتلافيفهِ وليس تكنية جلدة الدماغ بالامّ عند العرب فقط فانك ترى ان لها في بعض اللغات تعبيرًا واحدًا كانها قد تُرجمت عن اللغة العربيّة ترجمة لفظيّة

ناهيك عن ان العرب قد يريدون بالأُم المسكن وقد ذكروهُ بين مدلولاتها وذلك لانها تكون مسكنًا للجنين فعلى هذا يمكن لنا ان نقول ان المراد ايضًا بام الدماغ مسكنهُ ووعاؤهُ . فتأمل

١) وهذا رأي المستشرق فرنكل (Frænkel) في كتابهِ عن الالفاظ الارامية في اللغة العربية

القليف (راجع المشرق ٢ : ٤١٠)

قال: « القليف الدنّ الذي قد فُضّ عنهُ طينهُ تعريب (κάλως) ومعناهُ الجرّة والوعاء والآنية والسطل وأجانة المرتى ووعاء القرعة »

اقول ما القليف الّا صفة للدنّ المذكور وليست بموصوف البتة وهي لا تدل على الدنّ المذكور الّا اذا كان مقلوفاً اي مقشوراً عنهُ طينهُ كما تعرف من تعريفهم لهُ. فالقليف اذًا فعيل بمعنى مفعول وصفة خلفت موصوفها واستقلّت بالدلالة عليهِ. فتبصَّر

فهذا آخر ما سنح لي من النظر فيما نُشر في اعداد المشرق لسنتهِ الثانية تحت عنوان (الكلم اليونانيّة في اللغة العربيّة) لحضرة اللغوي البارع الاب انستاس الكرملي البغدادي ولم ارد فيما كتبتُ تنقيصًا لرأي حضرتهِ ولا افتياتًا عليهِ وانّما سعيت وراء الحقيقة التي ينشد ضالّتها ولعلّهُ كان مصيبًا وكنت مخطئًا فيما قرّرتُ وكتبت على مكانة العلم القاصر وفوق كل ذي علم عليم

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

سربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني

وكان المتدّم رزق الله كريم الاخلاق مبغضًا للظلم وبما انهُ قبل ان يتولّى المقدّميّة قد شاهد أفعالًا كثيرة منكرة من اهل المتن والكبرياء الذين يعتدون على الضعفاء ويهضمون حقوقهم فما صدّق ان قبض على زمام الاحكام حتى يستخدم سلطتهُ في كفّ ايدي ذوي البغي ودفع ظلاماتهم فمن ثمّ استدعى الى قصرهِ في بشراي جميع الامراء والمقدمين والمشايخ في لبنان وجبل عكّار

وكان في جملتهم مقدّما جبيل والبترون اللذان سبق شيء من خبرهما مع مقدمي ايطو ولحفد والعاقورة. وكان مقدّم العاقورة شيخًا وقورًا اشتعل رأسهُ بياضًا في مقارعة الابطال وكفاح الكماة وقد حمى لبنان نحو نصف قرن من غزوات الاكراد وعرب البقاع ونصيريّة الضنية(١ بسطوتهِ وحسن محافظتهِ على معابر جبل المنيطرة التي منها كانت تهجم تلك العصائب على قرى الجبل

(١ ابو الفداء

وكان الكل من مقدَّمين ومشايخ وأعيان لابسين خوذًا من الفولاذ الصقيل بماءات مفوَّفة بالقصب تبين من تحتها صوارمهم في اغماد مرصعة بالنقوش وكريم الجارة. وكان لتلك الخوذ المتلألئة والصوارم المذهَّبة والطيالس الحريريَّة والبرانس المبرقشة منظر بهيج باختلاطها بثلابس الكهنة السوداء وثياب رؤساء الاديرة المنسوجة من الصوف الاسمر القاتم

فلمَّا احتشد الكل في ردهة القصر وجلسوا في اماكنهم دخل المقدم رزق الله يصحبهُ اسقف بشرَّاي وكاتب اسراره وقرا غريغون قاصد الكرسي الرسولي. وكان في اقصى الردهة مائدة وضع عليهِ المصلوب بين شمعتين مسرجتين وقبالته كتاب الاناجيل الشريفة مع سيف مسلول

فبعد ان طلب المقدَّم رزق الله من الاسقف ان يبارك الاجتماع نهض واقفًا والقى على الحاضرين الكلمات الآتية:

« بعد ان صارت اليَّ ادارة الشؤون على اثر وفاة اخي المرحوم وَجهت همي كما تعلمون الى تأكيد سعادة الوطن ورفاههِ واتت مساعيَّ بما اروم من الثمرات كما تشاهدون لان جميع علاقتنا مع جيراننا هي بحمد الله على غاية ما نروم ونشتهي. نعم ان نائب طرابلس أطاع في بادئ الامر اقوال الوشاة بنا وتظاهر بشيء من العداء لكنَّهُ ما لبث ان اعترف لنا باسم الحكومة المصريَّة بجميع الحقوق والامتيازات التي كانت للمقدمين سلفائنا وبناء عليهِ لم يبقَ عليَّ سوى ان أوطد اساس الاتفاق القديم بيننا وبين الطائفة الدرزيَّة وامراء الغرب (١ فاصبت بتوفيق الله نجاحًا حتى انهُ لم يقم خلاف بين الفريقين الَّا وتمكنَّا من تسويتهِ بالطرق الحبيَّة. وليس في جيراننا من يملك خطةً معادية سوى النصيريَّة والمتاولة الذين كثيرًا ما تضطرنا الاحوال الى دفع غاراتهم علينا بالقوة

« هذا بشأن احوالنا الخارجيَّة غير ان احوالنا الداخليَّة تستدعي انتباهًا والتفاتًا خصوصيين. فقبل كل شيء أريد ان يملك الاتحاد التام بين الشعب اللبناني من اي طائفة ومذهب كان وليس لنا سوى هذه الطريقة حتى نكون اقوياء وقادرين على مقاومة جميع اعدائنا الخارجيين دون ان نرهب منهم بأسًا. وينبغي ان تعلموا اني اعتبر

(١ تاريخ بيروت لصالح بن يحيى

كل السكّان رعاياي واولادي سواء كانوا في جبل عكّار او في جبل لبنان في الساحل او في الجبة موارنة كانوا او ملكيين. نعم اني اشتهي ان يسود ايمان واحد في لبنان من اوله الى آخره لان الايمان هو اعظم رابط للقلوب والاذهان ولاجل هذه الغاية عضدتُ وساعدت بكل مقدرتي الارشيدياكن موسى الذي ارسلهُ غبطة بطريرك الملكيين الى رومية لاجل المداولة في مسألة الاتحاد مع قداسة ابينا العام الحبر الاعظم وهي جارية الآن مجرى حسنًا وعمّا قريب يسافر حضرة فرا غريغون الى المغرب تأكيدًا لنجاحها. ولا شك ان هذه المساعي كلها التي يقوم بها أناس مستقيمون اصحاب ضمائر محبّة للصواب لا يمكن الّا ان تلاقي نجاحًا بشرط ان لا نضع في طريقها عائقًا

« ان الشعب المسكين يرفع عقيرتهُ بالشكوى وهو مصيب في ما يشكو منهُ لانهُ يئن تحت اثقال التكاليف وليس من العدل كما تعلمون ان تكون جميع الامتيازات في جانب وجميع المحاشم في جانب آخر. وبناء عليهِ لم يكن بدّ من توزيع الحقوق والواجبات توزيعًا متساويًا وعادلًا. وهذا هو الوقت المناسب لذلك لاننا اذا لم نعمل اليوم طوعًا سيأتي يوم نعمل فيهِ جبرًا

وهنا انقطع المقدّم هنيهةً عن الكلام وبعد ان اجال نظرهُ في الحضور اتمّ خطابهُ قائلًا:

« إعلموا اذًا يا أتباعي وأعواني الاحباء. اني انّما جمعتكم هنا لتهتمّ بدفع النكبات والشرور المنتّة بالوطن العزيز وبما اننا اولياء الشعب يتحتم علينا ان نبدأ باعطاء المثل فيجب ان نلقي في البلاد سلامًا اكيدًا سلامًا يريح المظلوم ويكفّ يد الظالم وقبل كل شيء أريد توطيد العدل على قواعد ثابتة الاركان. وها انا مستعدّ لاستماع آرائكم والتنقيب بالاشتراك معكم عن العلاج المفيد لازالة العلّة فتكلّموا اذًا ولا تكتموني شيئًا من افكاركم

فعندها نهض مقدم العاقورة اكبر السادة الحاضرين عمرًا فقال

اعلم ايها الامير اننا جميعًا قد استصوبنا خطابك وكلنا نريد إقرار الترتيب والنظام وتعزيز اركانهما بكل ما يلزم من الوسائل وعليهِ فاننا سلفًا نقبل بكل ما تراهُ موافقًا لبلوغ هذه الغاية

ثمّ وقف المقدم زين فقال: اني ولو كنتُ أصغر الكل سنًّا ومن واجباتي ان اتمم

السكوت امام هذا الجمع الموقر اري مع ذلك ضرورة تدفعني الى اعلان السرور الذي غامرنا من هذه المقاصد الحازمة التي عزمت على اجرائها وانا منذ الآن اتبرأ جهرة من كل واحد ولو كان اخي يتجرأ على العبث بقواعد السلام التي عزمنا على وضعها. فاعتمد اذاً علينا ايها الامير واعلم ان جميع اتباعك من ورائك يقولون قولك ويؤيدون رأيك. او ليس هذا هو الصواب ايها الاخوة ؟

وقد تلقى الجميع هذه الكلمات الاخيرة باصوات الاستحسان مؤيدين صراحة عواطف اكثرية الحاضرين. وكان بين هؤلاء قوم ميالون الى بقاء الامتيازات الجائرة على حالها لكنهم لم يجسروا على المجاهرة فلبثوا صامتين ومن ثم فاذا تم الاتفاق بين الكل لفظاً واستمر في الضمائر ناقصاً فان بعض السادة اللبنانيين ممن يشبهون جوسلين في مظالمهم وسوء سيرتهم كانوا قد تواطأوا معهُ ومع مقدم جبيل على التريث وانتظار الحوادث. غير انَّ المقدم رزق الله لم يكن يدري بشيء من ذلك فظنَّ وقتئذٍ ان لبنان كلهُ اصبح في قبضة يديهِ يديرهُ كيف شاء.

فلما فرغ المقدم زين من الكلام قام الامير رزق الله فقال:

أُقسم بالله القادر على كل شيء انهُ لا يخرج احد من هذا القصر قبل ان يحلف بانهُ يعطي سلاماً وهدنة للشعب المسكين وان يحامي الضعيف ويعاقب الجرائم ايًّا كان مرتكبها متقدماً او شيخاً او وجيهاً او فرداً من العامة

قال هذه الكلمات ووضع سيفهُ على مخدة من الجلد كانت بجانبهِ ثم اكمل الكلام:

— اقسم اني أُعاقب بالموت كلَّ من يعبث بهذا السلام. واذا كان بينكم من يأبى هذا القسم فينهض حتى نعرف من هم اعداؤنا او بالحري اعداء شعبنا. فقد مضى وقت الامتيازات وجاء الوقت الذي يتساوى فيهِ الكل امام العدالة والشريعة

اما الجماعة فقاموا كلُّهم مبهوتين من هول هذا الموقف ولم يفه احد منهم ببنت شفة فحينئذٍ خاطبهم المقدم رزق الله قائلاً:

اني لأفرح جداً برؤيتكم جميعاً متفقين معي ومن الآن فلتسقط كل هفوات الزمان الماضي ولتمت ولتصر نسياً منسيًّا واما المستقبل فهو لنا

وحينئذٍ حاف الكل بين يدي اسقف بشرّاي وقرا غريغوريوس قاصد الكرسي الرسولي

على ذخيرة حقيقيَّة من ذخائر الصليب لاقطين كلمات القسم التي املاها عليهم سيدهم وولي امرهم مقدم بشراي

فلمَّا فرغوا من القسم تناول الامير رزق الله سيفهُ فانتضاهُ قائلًا وتربة اجدادي لا بدَّ من توطيد السلام وعلي صيانة الكنائس والاديار وعضد اليتيم والارملة وكل من يحتاج الى الاسعاف والمعونة. وقبل ان يتفرَّق الحضور طرحت عليهم بعض التدابير التي يجب العمل بها في هذا الخصوص فاثبتها الجميع بخطوط ايديهم. ثم ان المقدمين ودعوا سيدهم ومضى كلٌّ الى مركز ولايتهِ وهو على يقين بان المقدم رزق الله يسهر على اعمالهِ وينتبه لكل دقيقة منها فاجرى العدل وسلك بالشعب سلوكًا حسنًا حتى صار الكل يدعون للمقدم رزق الله بالنصر والتأييد وطول العمر

وبعد ان انفضَّ الاجتماع استدعى مقدَّم بشراي احد كتبة اسرارهِ فاملى عليهِ امرًا الى السيد جوسلين بالحضور اليهِ في فرصة ثمانية ايام من بعد وصول الامر لاجل استجوابه عن بعض الشكاوي المقدَّمة عليهِ. غير ان جوسلين لم يحفل بالكتابة ولا بالى بها وكان جبل اللكام بعيدًا عن لبنان. ومع ذلك فانَّ المذكور ما لبث ان عاد اليهِ الانتباه فاخذ يتهيَّأ للحوادث ورمَّم سور قصرهِ واستدعى رجالهُ لحمل السلاح

١١

وبعد مضي اسبوعين على الحوادث التي اتينا بذكرها قدم خيَّال طويل القامة فعبر الجسر النقَّال الموصل الى قصر جوسلين وكان متلثِّمًا بكوفية كبيرة ومشتملًا بعباءة سابغة يتدلى من تحتها سيف عريض. فكان في هذه الهيئة شبيهًا بمشايخ البدو او بالحري بمشايخ الشيعة الاسماعيليَّة الذين اعتادوا ان يغدوا المدَّة بعد المدَّة على سيِّد القصر لاجل مذاكرتهِ في شؤون مختلفة

وكان الراعي عبد الله من مزار النبي بشيت قائمًا عند باب القصر المذكور عملًا بالاوامر التي تلقَّاها فلمَّا شاهد الخيَّال ورأى الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا في صحبتهِ تبادر الى ذهنهِ انهُ المقدم رزق الله فاسرع لتقبيل يده لكنَّهُ ما لبث ان ارتدَّ باشارةٍ من الرجل المجهول

ثمَّ ان الخيال لمَّا وصل الى الباحة الداخليَّة نزل عن ظهر حصانهِ بخفَّة ولباقة فجعلت الكلاب المربوطة هناك تنبحهُ وتهمُّ بتقطيع السلاسل المقيَّدة بها لتصل

اليه. وما كاد يطأ الارض حتى وفد احد الخدم فامسك باللجام فناولهُ الرجل المجهول قطعة من الفضة قائلًا لهُ:

خذ هذه لك واعلم اني غريب واريد مواجهة سيدك في شأن مستعجل يتعلق بهِ

فدخل الخادم مسرعاً الى القصر ثم عاد بعد دقيقتين قائلًا ان سيدهُ جلس على الطعام ومتى كان في هذه الحالة لا يحب ان يواجه احداً ولا يتعاجل لاحد حتى لو كان المقدم رزق الله بعينهِ قادماً عليهِ

قال الغريب وقد مدَّ يدهُ الى منطقتهِ خذ ايضاً هاتين القطعتين من الفضة وعُدْ الى سيدك وقل لهُ اني آتٍ من قرية علما التابعة لامير بشرّاي وان الاسماعيليَّة اغاروا عليها واسلموا الغلال الى النار فعليهِ ان يُسرع في ارسال نجدة واخبرهُ كذلك اني لا اقوى على الانتظار

فدخل الخادم وقد بهرهُ سخاء الغريب لكنَّهُ ما كذَّب ان عاد مسرعاً كالمرة الاولى فقال ان سيدي يقول بان الفلاحين في علما ليس لهم الَّا الصبر على ما جرى وانك يجب ان تعود هذا المساء لتفاوضهُ ثم قال ايضاً. . . .

وهنا وقف الخادم عن الكلام بغتةً كأنَّهُ عرف ان الذي سينقلهُ عن لسان سيده سيجرّ عليهِ وبالًا. فقال الخيَّال بكل سكينة ووقار: لا بأس من ان تكمّل لنا مقال سيدك. فاجاب الخادم ان سيدي يقول انك اذا زدت في ازعاجهِ يُطلق عليك كلابهُ فتهشمك. فتبسَّم الغريب برصانة ثم كشف عن وجههِ واخرج قطعة من الفضة ونفح بها الخادم قائلًا: لا اسألك غير خدمة زهيدة تذهب الى جوسلين وتقول لهُ انَّ بَرْسيفا هنا

فما نطق الخادم بهذا الاسم حتى اضطرب جوسلين وارتجفت اعضاؤهُ لان مقدم بشراي كان معروفاً بالاسم المذكور عند الشعب ولذلك التفت الى الخادم فقال لهُ: كذبت واردت خداعي فان الغريب لم يقل لك شيئاً من هذا. وهمَّ في الوقت نفسهِ بالنهوض غير ان السكر كان قد عمل فيهِ فوقع على كرسيهِ

— لم اخترع شيئاً من عندي يا سيدي فانهُ قد قال لي صريحاً قل لسيدك ان برسيفا هنا وفي الحال رفع اللثام عن وجههِ فرأيت فيهِ تخايل المقدم رزق الله بن جمال

الدين. ثم ان قامتهُ الطويلة تدل عليهِ دلالةً كافية وكذلك غمد السيف المرصّع بالجواهر والمتدلي من تحت عباءتهِ المخطّطة لا يمكن ان يكون الّا لهُ

امّا جوسلين فزادهُ هذا الكلام ارتماشاً وبدّد عنهُ نشوة الخمر وفيما هو يهمّ باعطاء الاوامر لادخال الغريب انفتح باب الغرفة بغتةً ودخل منهُ الخيّال يصحبهُ الاب يوحنا.

(ستأتي البقيّة)

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

ـ المالح في بيروت — المطبعة الادبية

ذكرنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤ : ٨٩) اصل هذه المطبعة واشتراك صاحبها الفاضل خليل افندي سركيس مع منشئ مطبعة المعارف منذ سنة ١٨٦٨ ثمّ تفرّدهُ بالشغل سنة ١٨٧٣ . فاخذت المطبعة الادبيّة مذ ذاك العهد تتقدّم وتتحسن ادواتها ومعدّاتها وتتوسّع دائرة اشغالها باتساع دائرة العلوم في البلاد الشاميّة

وكانت احرف هذه المطبعة عند نشأتها من الشكل الاميركاني فصنع لها صاحبها الحرف المعروف بالاسلامبوليّ حفر اُمّهاتهُ جناب الشيخ اللغوي ابراهيم اليازجي ثمّ الحرف الفارسيّ وقد حفر اُمّهاتهُ المعلم قسطنطين البيطار الدمشقيّ والحرف الثلث الكبير وقد حفرهُ الاديب نجيب سركيس ومن هذه الحروف ما هو مزدان بالحركات. وكذلك قد جُهّزت هذه المطبعة باجناس كثيرة من الحروف الافرنجية

امّا الادوات الطبعيّة فمنها طابعان سريعان تُنشر بهما الكتب والجرائد. ومنها طابعان آخران يُداران بالرجل مختصّان بطبع السفاتج (البوالص) والاعلانات التجاريّة ومطابع أُخر للبطاقات يضاف اليها ادوات لتجليد الكتب وتذهيبها ومساكب للحروف

وفي هذه المطبعة تُنشر جريدة لسان الحال التي ظهرت في عالم الصحافة عام ١٨٧٧ . امّا الكتب التي طُبعت فيها من لدن نشأتها فكثيرة نورد هنا ما امكننا الوقوف عليهِ وقد قسمناها حسب موادّها تأميناً للحروف الابجديّة

١ً (الكتب الدينيَّة) ١ً اقتداء الكاهن بالمسيح للاب يوسف فراييني عرَّبهُ الخوري دمتريوس زيَّال (١٨٨٨. ص ٢٢٨) = ٢ً الانجيل المقدَّس بقطع صغير. ثم بحرف مشكل = ٣ً تحقيق الاماني لذوي الطقس البوناني (١٨٩٦. ص ٥٧) = ٤ً التيكون جمعهُ الخوري فيلبّس ملوك (١٨٩٦. ص ٤٢٥) = ٥ً خدمة السبت العظيم (١٨٩٩. ص ١٢١) = ٦ً خدمة القداس الالهي = ٧ً الخلاصة اللاهوتيَّة للاب توما عرَّجا المطران بولس عوَّاد. ٤ اجزاء = ٨ً دليل الفردوس وهي مواعظ الخوري افرام ابيض السرياني = ٩ً الرسائل الجليَّة في البراهين على اخص العقائد المسيحيَّة للخوري سابا (١٨٧٩. ص ١٧٦) = ١٠ً السواعية للروم الكاثوليك عُني بطبعها المطران جرمانوس معقد (١٨٩٠. ص ٦٦٧) = ١١ً شرح التعليم المسيحي للمطران بطرس الجربيري (١٨٨٦. ص ١٦٦) = ١٢ً صلوات = ١٣ً عقود الجمان في شرح قانون الايمان للمطران انطون قندلفت جزءان (١٨٨٣. ص ٦٦٠) = ١٤ً القلادة الدريَّة في شرح الوصايا الالهية لهُ (١٨٩٩. ص ٤٨٨) = ١٥ً العيشة الهنيَّة في الحياة التسكية للقس افرام الدبراني (١٨٩٩. ص ٧٤٢) = ١٦ً الكلام الحيّ مواعظ المطران جرمانوس معقَّد (١٨٩١. ص ١٨١) = ١٧ً مجموع بعض فروض لكنيسة الروم الكاثوليك (١٨٨٦. ص ١٢٠) — ١٨ً مختصر الاكطوبخس (١٨٩٠. ص ١٥٢) = ١٩ً المسيحي العابد (١٨٨٦. ص ١٨٦) = ٢٠ً المعاني الصحيحة في شرح طقس الذبيحة للمطران جرمانوس معقَّد (١٨٨٩. ص ٦٨) = ٢١ً المفيد للروم الكاثوليك. وللروم الاورثدكس = ٢٢ً المُنرم بعبادة مريم (الشهر المريمي) تعريب القس افرام الدبراني (١٨٩٩. ص ٥٠٨) = ٢٣ً منارة الاقداس في تفسير القداس للخوري يواكيم مطران (١٨٨٨. ص ٦٠٢) = ٢٤ً الميناون للروم الكاثوليك. عُني بطبعهِ الخوري اغناطيوس معقَّد. جزءان (ص ٨٠٢) — الجزء الثاني منهُ للروم الاورثدكس (١٨٨٣. ص ٥٤٢) = ٢٥ً نبراس الكاهن للمطران باسيل قندلفت (١٩٠٠. ص ٢٩٩)

وهذه بعض كتب دينيَّة اسلاميَّة طُبعت في المطبعة الادبية: ١ً الاجوبة الجليَّة في العقائد الدينية لرجب محمد جمال الدين البيروتي (١٣٠٠. ص ٢٥) = ٢ً الاساس في الفقه على المذهب الشافعي لمحمد يحيى طيَّاره (١٣٠٠. ص ١٠٠) = ٣ً الانوار المحمديَّة في المواهب اللدنية للشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني (١٣١٠. ص ٦٢٣) = ٤ً الطائل في الفيوضات والدلائل للسيد محمد علي القبَّاني (١٣١٢. ص ٣٤٠). وبعض كتب أُخرى كتحفة العابدين والرسالة الحميدية والاربعين حديثًا والرسالة الحنفية والمجالس الرفاعية والمظاهر الكمالية ووسائل الوصول

٢ً (مبادئ القراءة والصرف والنحو والمنطق) ١ً الاجرومية مع اعرابها = ٢ً نظم الاجروميَّة = ٣ً الاجوبة الوفيَّة في المسائل الصرفيَّة لابراهيم افندي سركيس (ص ٦٤) = ٤ً الإعراب عن قواعد لغة الأعراب لرشيد عطيَّه الجزء الاول (١٩٠٠. ص ٢٢٠) = ٥ً اعراب جوهر الفرد = ٦ً الف باء = ٧ً الفيَّة ابن مالك مع شرح ابن عقيل = ٨ً شرح الالفيَّة باللغة الفرنسويَّة لتوغوبار (١٨٨٨. ص ٢٤٩) = ٩ً شرحها بالايطالية للسيو ه. فيتو (١٨٩٨. ص ٦+٢٥٠) = ١٠ً الايساغوجي في المنطق = ١١ً التحفة الادبية في القراءة العربية للقس بطرس الجديدي (١٨٩٩. ص ٨٤) = ١٢ً تعليم مبادئ القراءة العربيَّة = ١٣ً سلاسل

القراءة ستة اجزاء (١٨٩٨–١٩٠٠ . ص ٣٠٠) = ١٤ سلّم القراءة = ١٥ شرح ابيات الارجوزة = ١٦ عقود الدرر في شرح شواهد المختصر للمعلم شاهين عطيّة (١٨٨٧ . ص ١٦٣) = ١٧ مختصر ارجوزة الصرف = ١٨ مختصر كتاب نار القرى للشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٨٢ . ص ٢٩٦) = ١٩ مدارج القراءة لبرجس همّام ستة اجزاء (١٨٨٩–١٨٩٣ . ص ٧٧٥) = الولد الكاثوليكي

٣ (الكتب الادبية واللغويّة والدواوين) ١ الاشراق في مكارم الاخلاق = ٢ الطباق الذهب لشرف الدين الاصفهاني مع شروح للشيخ يوسف النبهاني (١٣٠٩ . ص ١١٢) = ٣ باكورة نظم الامير شكيب ارسلان (١٨٨٧ . ص ٩٢) = ٤ التحفة الانيسة ثلاثة اجزاء (١٨٧٧–١٨٨١ وكرّر طبعهُ) = ٥ التهاني البلديّة في الحامد الخالديّة (١٨٩٤ . ص ٨٢) = ٦ ثاني المطران بولس بصبوص = ٧ الجليس الانيس وهو ديوان سليم دي بسترس (١٨٨٧ ص ٧٨) = ٨ الحكمة وفصل الخطاب جمعهُ السيد عبد الغني رمضان (١٣١٠ . ص ٩٢) = ٩ الخواطر في اللغة للعلم جبر ضومط (١٨٨٦ . ص ١٢٢) = ١٠ الدرّة الفريدة في الدروس المفيدة لسليم كتّاب . جزءان (١٨٨٣ . ص ١٤٤ و ١٦٠) = ١١ الدرّة اليتيمة لابن المنقّح مصحّحة بقلم عزتلو الامير شكيب ارسلان (١٨٩٧ . ص ٤٦) = ١٢ دفع الاوهام بقلم ابن سلام (تخطئة مقالة الشيخ اليازجي في لغة الجرائد ١٣١٧ . ص ٦٤) = ١٣ دليل الحائر في صناعة الناثر والناظم جمعهُ شاكر البلوني (١٨٨٥ . ص ١٩٨) = ١٤ ديوان ابن سهل الاشبيلي (١٨٨٥ . ص ٤٨) = ١٥ ديوان ابن منتوق (١٨٨٥ . ص ٢٢٩) = ١٦ ديوان ابي غانم الطائي مع شروح للمعلم شاهين عطيّة (١٨٨٩ . ص ٤٦٢) = ١٧ ديوان ابي العلاء المعرّي وقف على طبعهِ شاكر شقير اللبناني : سقط الزند (١٨٨٤ . ص ١٢٨) وضوء السقط (١٨٨٤ . ص ٥٠) = ١٨ ديوان ابي فراس الحمداني وقف على طبعهِ نخله نقّاش (١٩٠٠ . ص ١٦٠) = ١٩ ديوان ترجمان الافكار للشيخ أبي الحسن الكتبي (١٢٩٩ . ص ٢٢٤) = ٢٠ ديوان التلعفري صحّحهُ السيد محمد الالوسي (١٣١٠ . ص ٥٤) = ٢١ ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة من نظم محمّد اليمني (١٣٠٤ . ص ١٢٦) = ٢٢ ديوان السيد الشريف الرضي صحّح جزءهُ الاول الشيخ احمد عبّاس الازهري والثاني محمّد افندي اللبابيدي (١٣٠٧ . ص ٩٨٦) = ٢٣ ديوان عزّتلو نقولا افندي نقّاش (١٨٧٩ . ص ١١٢) = ٢٤ ديوان عثمان باشا = ٢٥ ديوان متبة النفس في اشعار عنتر عبس = ٢٦ ديوان ابن الفارض طبعات متعدّدة (١٨٨٦ . ص ١٢٢) = ٢٧ ديوان فتح الله مرّاش (١٨٧٨ . ص ٥٨) = ٢٨ رسائل ابي العلاء المعرّي مع شروح للمعلّم شاهين عطيّة (١٨٩٤ . ص ٢٢٦) = ٢٩ سجع الحمامة في ديوان المعلم بطرس كرامة (١٨٩٨ . ص ٤٠٠) = ٣٠ سفر الدموع (١٨٩٩ . ص ١٢٢) = ٣١ الشرح الجليّ على بيتي الموصلي (١٣٠٢ . ص ٢٥٢) = ٣٢ الصادح والباغم لابن الحبارية (١٨٨٦ . ص ١٤٢) = ٣٣ كليلة ودمنة نقّحهُ الشيخ خليل اليازجي (١٨٨٨ . ص ٢٦٤) = ٣٤ مختار النظائم ومصباح الحائر لسليم افندي عنحوري (١٨٧٨ . ص ١٨٠) = ٣٥ مثلّثات تويدر مع ترجمتها الى الايطالية للسيو ه. فيتو (١٨٩٨ . ص ٢٢+٤١٧) = ٣٦ مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي = ٣٧ مراثي الشيخ

خليل البازجي – والياس صانع – وحنّا النحوري (١٨٩٠. ص ٤٨) = ٣٨ المعين. كتاب العلم للشيخ سعيد افندي الشرتوني (١٨٩٩. ص ٢٢٥) = ٣٩ مقامات الحريري (١٨٨٦ و ١٨٨٨. ص ٥٦٤) = ٤٠ مقدّمة ابن خلدون (١٨٧٩ و ١٨٨٦ . ص ٥٥٦) = ٤١ من غاب عنهُ المطرب لابي منصور الثعالبي صحّحهُ محمّد افندي اللبابيدي (١٣٠٩. ص ١١٨) = ٤٢ منظومات الجنديّ = ٤٣ الندى الرطيب في النزل والنسيب لسليم شاهين سركيس (١٨٨٦ . ص ١٨٤) = ٤٤ نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي (١٨٨٣ ص ١١٦) = ٤٥ نزهة الافكار في أطايب الاشعار (ص ١٦٠) = ٤٦ نفح الازهار في منتخبات الاشعار لشاكر البتلوني (١٨٨٠. ص ١٢٦) = ٤٧ نهج البلاغة مع شروح للشيخ محمد عبده جزءان (١٨٨٥. ص ٢٥٤ و ١٥١)

٤ (الكتب التاريخية) ١ تاريخ اسكندر الكبير (١٨٨٦ . ص ١٤١) = ٢ تاريخ امير كا لبطرس شحاده جزءان (١٨٨١. ص ١٨٨ و ٩٢) = ٣ تاريخ بطلك لميخائيل موسى الوف البطلكي (١٨٨٩. ص ٩٢) – ترجمتهُ بالفرنسويّة (١٨٩٠. ص ١٤٣) = ٤ تاريخ سورما لجرجي افندي يني (١٨٨١. ص ٥٢٦) = ٥ تاريخ القدس (١٨٨٠ . ص ٢٠٦) = ٦ التاريخ المقدس بالفرنسويّة والعربية لميخائيل عبد الله غبريل (١٨٩٨ . ص ٢٢٩) = ٧ تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء للدكتور بيشوف (١٨٨١ . ص ١٦٣) = ٨ الدرّ النظيم في التاريخ القديم لابرهيم سركيس (ص ١٤٣) = ٩ الروضة الزاهية في تاريخ الموالم الماضية لفرحان حمّاده (١٨٧٩. ص ٢٩) = ١٠ القصارى في حلّ ثلاث مسائل تاريخية للسيد اقليمس داود (١٨٨٧ ص ٩٢) = ١١ مختصر تاريخ طائفة الروم الكاثوليك (١٨٨٤ . ص ٢٢٢) = ١٢ مختصر تاريخ اليونان للخوري ميخائيل الوف (١٨٨٩ . ص ٢٢٢) = ١٣ موجز التاريخ الكنسي لهُ (١٨٩٠ . ص ٢٢٢)

٦ (الكتب الطبية والرياضيّة) ١ الاجوبة الرضية في المسائل الحسابية = ٢ الاجوبة الوافية في اصول الجغرافية لابراهيم افندي سركيس (ص ١٦٠) = ٣ الايضاح على مقالات اقليدس في الهندسة لجرجس همّام (١٨٨٨ . ص ١٣٤) = ٤ ترويض الالباب في علم الحساب لسليم صادر (١٨٩٣. ص ٨٠) طبع مرارًا = ٥ كتاب الحساب العقلي لمنّ البزا افرت (١٨٩٠. ص ٧٢) تكرّر طبعهُ = ٦ دائرة المعارف. الجزء التاسع (١٨٨٧. ص ٧٢٦) = ٧ الروض النرجسي في الحساب المدرسي لفرحان الياس (١٨٨٥. ص ١٧٧) = ٨ رياض الالباب في رياض الحساب لامين الخوري (١٨٨٥. ص ٤٨) = ٩ غصن البان في تخطيط البلدان لسارة حلق (ص ٤٧) = ١٠ لمحة الناظر في سلك الدفاتر للمعلم ظاهر خير الله (١٨٨٤ ص ٦٨) وفي آخره رسالة ترويض المُباشر في سلك الدفاتر (ص ١٦) = ١١ مختصر الجغرافية للخوري فازو بالفرنسويّة (١٨٩٦. ص ٢٤٨) = ١٢ مدخل الطلّاب في علم الحساب لظاهر خير الله (١٨٨٢. ص ٨٠) = ١٣ مرقاة الطلّاب في فنّ الحساب (١٨٠٠. ص ٠٠٠) = ١٤ مطوّل في الحساب لنعمة شديد يافث التبشراني (١٨٨٦ . ص ٤٠٧) = ١٥ النقش في الحجر للدكتور ك. فان ديك ثمانية اجزاء (١٨٨٦–١٨٨٩ . ص نحو ١٠٠٠)

٦ الكتب الصناعيّة والفنيّة) ١ استاذ الطبّاخين طُبع مرتين = ٢ الامراض

الزهريّة للدكتور ابراهيم مطر (١٨٨٥ . ص ١٥٦) = ٣ً الحقائق الجليّة والدقائق الصحيّة للآنسة هيلانة البارودي (١٨٩٤ . ص ٢٠٢) = ٤ً خير الاغراض = ٥ً السوار الحلّي في تدبير الاعلّا للدكتور اسكندر البارودي (١٨٩٧ . ص ٢٨٨) = ٦ً كتاب علم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي (١٢٩٩ . ص ١٢٠) = ٧ً كشف النقاب عن انواع الشراب لرشيد غازي الصيرفي (١٣٠٦ . ص ١٧٤) = ٨ً المرشد الجبير في تربية دود الحرير للدكتور اسعد سليم (١٨٩٩ . ص ١٧١) = ٩ً مرشد العيال في تربية الاطفال للدكتور سليم جانح (١٨٨٦ . ص ٢٠٨) = ١٠ً مقالة في الدفتيريا = ١١ً منتخبات الصناعة في فن الزراعة لبشاره نحوّل (١٨٨٦ . ص ٢٧٦) = ١٢ً منتهى المنافع في انواع الصنائع لرشيد غازي الصيرفي (١٨٩٦ . ص ١١٠٤) = ١٣ً المنهاج الجلي في واجبات الصيدلي لابيردون منّي (١٩٠٠ . ص ٧٢) = ١٤ً النجوم المشرقات في تدبير المكونات لرشيد غازي الصيرفي (١٣٠٥ . ص ١٧٥)

٦ (القوانين الشرعيّة) ١ً الدستور . ترجمة نوفل افندي نعمة الله نوفل جزءان (١٣٠١ . ص ٥٨٠ و ٥٩٥) = ٢ً شرح قانون التجارة = ٣ً شرح قانون الجزاء = ٤ً شرح قانون المحاكمات الحقوقية = ٥ً شرح المجلة لسليم افندي باز = ٦ً قانون اصول المحاكمات ترجمة عزّتلو نقولا الشمّاش (١٨٨٣ . ص ١٢٩) = ٧ً قانون الاستملاك = ٨ً قانون التجارة الالماني العام . عرّبهُ الاستاذ مرتين هرفان (١٨٨٧ . ص ٧+١٤٠) = ٩ً المجلّة عني بترجمتها الشيخ احمد عبّاس (١٣٠٢ . ص ٢٦٩)

٧ (الروايات والرحل والاخبار) ١ً الف ليلة وليلة . اربعة اجزاء (١٨٨٠—١٨٨٢ . ص ١٦٦٦) = ٢ً الف يوم ويوم عرّبهُ عن الفارسيّة المعلم جرجس نوفل (١٨٨٦) لم يُتمّم = ٣ً رحلة خليل سركيس الى الاستانة واوربّا واميركا (١٨٩٣ . ص ١٤١) = ٤ً كتاب تحفة الزمان في اخبار الملك زادبخت بن شهرمان لاسعد ابي صوّان (١٨٨٢ . ص ١٦٠) = ٥ً روضة الازهار في منتخبات الفكاهات والاخبار تعريب جرجس نوفل (١٨٨٦ . لم يتمّم) = ٥ً سيرة بني هلال = ٦ً سيرة عنترة بن شدّاد. ستة اجزاء (١٨٨٣—١٨٨٥ . ص ٢٦٣٥) = ٧ً قصّة علي الزيبق = ٨ً مائة حكاية وحكاية تخلي افندي قلفاط (١٨٧٩ . الجزء الاول ص ١٢٦) = ٩ً مجنون ليلى = ١٠ً الملك سيف بن ذي يزن — ثمّ روايات عديد معرّبة كرواية جنفياف (١٨٧٨ . ص ١٠٨) ورواية المسيو ليكوك او بوليس باريس (ص ٢١٠) ورواية البطلين (١٨٨٩ . ص ١٨٧) ورواية السرّ الخفي (١٨٨٩ . ص ١٤٥) وزهرة الحب (١٨٨٩) ورواية المرزئة والوفاء ورواية عليا وغير ذلك ممّا ليس في ذكره كبير فائدة

٨ (اللغات) ١ً اصول التدريس (عربي وتركي) = ٢ً اعراب فرنسويّ = ٣ً الف باء فرنساوي للشيخ خطّار دحداح (ص ٧٩) = ٤ً اولندورف لنسيب عبد الله = ٥ً الايضاحات الوفية (بالتركيّ) = ٦ً تحفة الاخوين (عربيّ وانكليزي) = ٧ً التحفة الحميدية في اللغة الشمانية لمصباح افندي اللبابيدي (١٣١٦ . ص ١٨٠) = ٧ً التحفة الوطنية في قواعد اللغة الايطالية ليوسف يواكيم (١٨٨١ . ص ٢٠٠) = ٨ً الطوالع السعدية في آداب اللغة الانكليزية لخليل عناتيل

سعد (١٨٧٦. ص ١٢٠) = ٩ً قواطيق اللغة الفرنسوية لزتلو غطاس افندي (١٨٨٥. ص ١٩٩) = ١٠ً قاموس فرنساوي وعربي = ١١ً الكنوز الابريزية في متن العربية والانكليزية لسليم كباب وجرجس همام (١٨٨٨. ص ٨٠٢) = ١٢ً مبادئ القراءة (انكليزي عربي) = ١٣ً محكمات عربي وانكليزي = ١٤ً الهدية الشرقية في اللغتين العربية والانكليزية

وكتب اخرى غيرها لم نستحق موادها. وفي هذه المطبعة تُطبع او طُبعت مدةً بعض جرائد ومجلات كالطبيب والرئيس والمنار وسالنامات وروزنامات وغير ذلك مما يشهد بتقدم هذه المطبعة والخدمات العديدة التي يؤديها صاحبها الفاضل للمعارف والآداب

(ستأتي البقية)

مقام يوسف البارّ بين الاولياء الاطهار

نبذة لاهوتية للاب بولس جوون اليسوعيّ

كتبها بمناسبة وقوع شهر آذار المخصّص بذكر القديس يوسف الجليل

ان التعبُّد لخطيب البتول الطاهرة وابي المسيح بالذخيرة قد بلغ منذ خمسين عاماً مبلغاً عظيماً في العالم المسيحي حتى لم يعد اليوم احد من المؤمنين في انحاء المعمور يفصل اسمهُ الجليل عن اسمي يسوع ومريم الكريمين. ولا غرو فانَّ من اعتبر يوسف المختار مع حليلتهِ المجيدة والطفل الالهي الذي وُكل الى حراستهِ وجد فيهم ثالوثاً ارضياً يمثل لنا احسن تمثيل ذلك الثالوث العلوي الذي لا يقبل انفصالاً. وعليهِ فقد ابى النصارى الّا ان يكرموا يوسف البار اكراماً ممتازاً لم يؤدوا بهِ الى غيرهِ من الاولياء القديسين. بل ارشدهم تقاهم الى ان يفضلوهُ على كل من سواهُ ويثقوا بهِ ثقتهم باقرب الشفعاء من عرشهِ تعالى بعد البتول الطاهرة. فمن ثمَّ قد تلقَّى الشعب المسيحي باصوات الاستحسان ورنّات الفرح ما كتبهُ لاون الثالث عشر الماثل سعيداً في حقّ يوسف الجليل حيث قال علناً في براءتهِ الصادرة في ١٥ آب سنة ١٨٨٩: «لا ريب انَّ يوسف فاق جميع الابرار فبهرهم برتبتهِ السامية ومناقبهِ السنيَّة وترفّع ببرارتهِ دونهم الى مثال الفضائل وقدوتها البتول العذراء الجليلة خطيبتهِ»

فنعم القول وما غايتنا في هذه اللمعة الوجيزة الّا ان نثبتهُ بالادلَّة الراهنة ليرى

المؤمنون ان تعاليم الكنيسة كلها مبنيَّة على اساس الحق توحى اليهـا من مصدر اليقين وينبوع الصدق عزَّ وجلَّ

١

ولكن يترتب علينا قبـل ان ندعم بالبرهان هذه الحقيقة في عظم شأن القديس يوسف بين اوليـاء الله ان نتلافى مشكلين يمكن البعض ان يعترضوا بهما علينا في هذا الصدد

فالاعتراض الاول نأخذهُ من نفس الانجيل الكريم حيث ورد في متَّى (١١ : ١١) ولوقا (٧ : ٢٨) انَّ بين مواليـد النساء ليس من احد اعظم من يوحنَّا المعمدان. فيقول المعترض ان هذه العظمة التي نسبها الرب ليوحنَّا المعمدان ليست عظمة بشريَّة وانَّما هي عظمة ادبية فائقة الطبيعة اعني القداسة فاذن فاز يوحنَّا الصابغ بقصبة السبق في ميدان القداسة على يوسف البار

قلنا ان هذا المشكل لا يُحلّ الَّا بمراجعة كلام الانجيل ليظهر من نفس القرائن ما هو معنى قول الرب في هذه الآية:

يخبرنا متى في الفصل المذكور ان يوحنا اوفد من حبسهِ اثنين من تلاميذهِ ليسألا يسوع: أهو المسيح الموعود ام ينبغي ان يُنتظَر غيرهُ. وانما يوحنَّا فعل ذلك لا لشكوك بدا لهُ في امر المسيح بل ليرشد تلاميذهُ ويعرّفهم المسيح الذي شهد لهُ يوحنا غير مرة. فيسوع ادرك مراد المعمدان فقال لتلميذيهِ اذهبا وقولا ليوحنا ما رأيتما وسمعتما... وبعد مضيّهما اغتنم يسوع الفرصة ليبيّن فضل العهد الجديد على العهد العتيق الذي انتهى بيوحنا المعمدان. وليان ذلك اخذ في إطراء الصابغ فذكر ثباتهُ (متى ١١ : ٧) ثمَّ زهدهُ بملاذّ العالم (١١ : ٨) ثمَّ جعلهُ نبيًا وافضل من نبيّ (١١ : ٩) لان الله عهد اليهِ بان يكون ذاك الملاك الذي تنبأ عنهُ ملاخي (٣ : ١) فاختارهُ ليتقدَّم امام وجه مسيحهِ الآتي ليعدَّ طرقهُ (متى ١١ : ١٠) ولذلك يحقّ ليوحنا بان يُدعى الياَّ (متى ١١ : ١٤) كما دعاهُ الملاك لمَّا ظهر لابيهِ زكريَّا (لوقا ١ : ١٧) فهو لكل هذه الصفات ارفع رتبة واعلى مقاماً من كل اولياء العهد القديم وبهذا الوجه يصحُّ فيهِ ان يُدعى اعظم مواليد النساء (متى ١١ : ١١)

فبعد ان اطنب المسيح لذكرهِ السجود في شخص يوحنَّا وفضائلهِ ورتبتهِ الشريفة

انتقل الى ذكر العهد الجديد وبيّن فضلهُ على العتيق فقال (متى ١١ : ١١ ولوقا ٧ : ٢٨) « وانا اقول لكم ان الاصغر في ملكوت الله اعظم من يوحنا » . فملكوت الله كما لا يخفى استعارةٌ تطلق مرارًا في الانجيل الطاهر على الكنيسة التي انشأها المسيح وبالاجمال على العهد الجديد . ومعناها هنا ظاهر لانهُ لو اراد المسيح الدلالة على ملكوت السماء وجنّة الخلد لجعل يوحنا آخر القديسين وهو خلاف ما يريد المعترض . فصحّ اذًا ان المراد بقول المسيح انّ رتبة يوحنا في العهد القديم اعظم من رتب الآباء والانبياء الذين سبقوهُ . ولذلك لم يَقل القديس لوقا (٧ : ٢٣) على وجه الاطلاق « انهُ لم يقم بين مواليد النساء اعظم من يوحنا المعمدان » بل خصّص فقال : « ليس في مواليد النساء نبيٌّ اعظم من يوحنا »

ومحصّل القول انّ المسيح لم يقابل بين يوحنا وجميع القديسين كما ظنّ بعض المفسّرين بل قابل اعظم رتبة في العهد القديم وهي رتبة يوحنا مع رتبة اي مسيحي كان فلا غرو ان حالة هذا اعظم من حالة الاول لانهُ بالعماد يصير ابنًا لله وارثًا للمسيح ووريثًا لملكوت السماوات . كما لو قلتَ مثلًا ان في الملك النباتي ليس شجرة اعظم وابهى من النخلة . ومع هذا لو قابلت هذه الشجرة باصغر الهوامّ والهمج لوجدتَ رتبة هذه افضل من رتبة النخلة لانّ الهوام يخصّون الطور الحيوانيّ وهو اعظم من الطور النباتيّ

فهذا التفسير قد سبق اليهِ القديس كيرلّس الاسكندري وغيرهُ من آباء الكنيسة وأيدوهُ بالبرهان . ومن الحجج التي احتجّوا بها ايضًا انّ المسيح لو اراد بقولهِ المذكور تفضيل قداسة يوحنا على كل اولياء الله لكان كلامهُ مخلًّا بشرف العذراء البتول سلطانة جميع القديسين وكان يوحنا المعمدان ارفع منها مقامًا وهو امرٌ لم يرضَ بهِ احد من النصارى البتّة . فصحّ اذن انّ هذه الآية لا تمسّ في شيء شرف القديس يوسف

امّا (الاعتراض الثاني) على سموّ مقام يوسف البار بين مصفّ الابرار فهو يستند الى التقليد الكنسي فيقول البعض : « اننا لعالمون انّ آباء الكنيسة الاقدمين قد اثنوا على قداسة يوسف الجليل وبرّهِ وبتوليتهِ الدائمة (١ ولكن لا نراهم صريحًا يُشيدون

١) راجع ما كتبهُ المشرق في اثبات بتولية القدّيس يوسف وشهادات آباء الكنيسة اليونانية في ذلك (٣ : ٣٨٠ و ٤١٢ و ٥١١ و ٤٨٦)

بمجامدهِ الى حدّ انهم جعلوهُ اعظم كلّ الاخيار القديسين بعد مريم البتول

جوابنا على هذا الاعتراض الثاني ان الآباء الاولين لم يصرّحوا بكثير من العقائد الدينيَّة التي استلمتها الكنيسة من ايدي الرسل الحواريين فان هذه العقائد مع صحّتها لم تتضح جليًّا الّا بعد زمن طويل على مقتضى الحاجة اليها عندما استدعت الاحوال إماطة حجاب الخفاء عنها. ألا ترى مثلًا ان كل مجمع من المجامع العمومية كشف القناع عن بعض الحقائق الحقيَّة التي لم تظهر علانيةً قبل اوانهِ. فان مثل عقائد النصرانيَّة كمثل الجنين الذي يحتوي بالقوة كل خصائص الرجل الكهل التام الحاقة ولو يُقتضى مرور بعض الزمن لظهور اعضائهِ وكمال بنيتهِ

ولنا مثال على ذلك في ما صنعتهُ الكنيسة في ايامنا لمّا اشاعت بعقيدة خلوّ العذراء من شائبة الخطيئة الاصليَّة في اول ما حُبل بها في احشاء والدتها القديسة حنة. وهو معتقد اتفقت الكنيسة الغربيَّة والشرقيَّة على الايمان بهِ صريحًا بعد ان اعتقدتاهُ على وجهٍ غير صريح في القرون السابقة. وكذا قل عن سموّ فضل القديس يوسف الذي يعتبرهُ الآن الشعب المسيحي كرأس الابرار بعد البكر الطاهرة. فان مقامهُ كان في بدء النصرانيَّة محجوبًا فلم يزل ينقشع عنهُ غيهب الخفاء حتى ظهر في ايامنا كما هو حقيقة اعني قديسًا جليل المقام رفيع الشأن بل اعظم اولياء الله

فلا حرج اذن ان لبّى الكرسي الرسولي دعوة جمهور كبير من الاساقفة والامم الكاثوليكيَّة الذين طلبوا من المجمع الفاتيكاني ان يخوّل القديس يوسف اكرامًا خصوصيًّا ويجعل عيدهُ حافلًا في كل الكنائس ويمنحهُ في الطقوس والرتب الالهيَّة المقام الاول بعد العذراء عليها السلام. وهذه العريضة كان أمضاها سنة ١٨٧٠ ثمانية وثلاثون كردينالًا و ٢١٨ اسقفًا

ولمّا كانت سنة ١٨٨٧ سعى بعض الكهنة بانشاء رقيم آخر بمعنى السابق ختمها ٦١٠ اساقفة و ٣٢ كردينالًا وكل رؤساء الرهبانيَّات. وهذه العريضة تلقّاها الكرسي الرسولي بما تستحقهُ من الالتفات والاعتبار حتى انهُ ليس بمستبعد انّ امام الاحبار يصادق عليها بعد حين وينصّب يوسف البارّ تنصيبًا رسميًّا فيُعدّ ليس فقط كشفيع اوّل لكنيسة الله بل ايضًا كاوّل الاولياء بعد البتول

٢

فبعد هذه المقدّمات يسوغ لنا ان نتخطّى الى بيان القضيّة التي اخذنا على نفسنا اثباتها اعني انّ المقام الاول بين اولياء الله يحقّ ليوسف لا لسواهُ. واكتفي لذلك ببيّنتين صادقتين لا ريب فيهما (١

واوّل برهان نسند اليهِ صحّة مقالنا الشرف الجزيل الذي نالهُ يوسف القديس بان يكون ابًا للمسيح

أجل ان يوسف الجليل لم يُولد المسيح كما يُولد الآباء ابناءهم ولم يكن يوسف اباهُ بالطبيعة لان المسيح بحيث هو انسان لا أب لهُ كما انهُ لا أمّ لهُ بحيث هو اله. ولكن أترى ذلك كافيًا ليُحرم يوسف شرف الابوّة الحقيقيّة بالنسبة الى يسوع. لا لعمري

وان سأل سائل ماذا نفهم بهذه الابوّة الحقيقيّة. اجبنا انّ الحقيقي خلاف المجازي فبقولنا اذن ان يوسف ابٌ حقيقيٌّ للمسيح نريد انّ ابوّتهُ ليست بابوّةٍ خياليّة خارجيّة كما ندعو ابًا من يربّي الولد ويهذّبهُ او يقوم لهُ بمقام ابيهِ الطبيعيّ. فانّ هذه الابوّة اسميّةٌ مجازيّةٌ لا تكفي لشرف يوسف البار

وليست ايضًا ابوّة يوسف ابوّةً شرعيّة محضةً مبنيّةً على التبنّي القانونيّ بازاء الشريعة فتخوّلهُ حقوق الاباء نحو ابنائهم. كلاّ بل ليوسف ما هو فوق ذلك. لهُ بالنسبة الى الرب الاله ابوّةٌ صحيحة صادقة مختصة بهِ وحدهُ يجوز ان ندعوها ابوّةً ادبيّة. قال العلامة سواريس: «قد نال يوسف ابوّةً فعليّةً بالنسبة الى المسيح لولا انهُ لم يُنشِئهُ بالولادة»

وما يؤيد صحّة هذا القول ان اقتران يوسف بمريم كان اقترانًا شرعيًا تامّ الشروط بحيث حصل كلاهما على حقوق الأزواج ولو انّهما نذرا عفّتهما لله وامتنعا طوعًا عن الاستمتاع بهذه الحقوق المتبادلة

وعليهِ ان شاء الله ان يقوم بنفسه نحو البتول العذراء مقام يوسف فيظلّلها بقوّتهِ الفعليّة ويُحلّ عليها روحهُ القدوس لتلد ابن الله بلا رجل أفليس ليوسف ان يعتبر هذا المولود

---

١) قد ظهر في اوربا مدّة تآليف في هذا الموضوع نخص بالذكر مصنّفات عديدة للاب «ماريانى» طُبع معظمها عند ليكوفر (Lecoffre) سنة ١٨٩٧

كخاصته يجمعهُ واياهُ روابط من العواطف الابوية كما نراها في احنّ الاباء واصدقهم حبًّا نحو ابنائهم

وزد على ذلك ان الله عزَّ وجلَّ يعامل اولياءهُ القديسين بحكمةٍ عجيبة ولطف سامٍ لا يكلفهم امرًا مُغايرًا لطباعهم. فلما اختار تبارك اسمهُ يوسف البار ليقوم بأود المسيح مدَّة ثلاثين سنة فيقيتهُ ويهتمّ بكل حاجاتهِ ويكابد لاجلهِ المشقات ويدفع عنهُ البلايا اقتضى الامر بان يربطهُ والمسيح برباط وثيق لا يتوقف على مودَّة عرضيَّة وتسميةٍ شرعيَّة بل يخلق فيهِ روحًا جديدًا وهو روح اعطف الاباء

وعلاوةً على ذلك كان يوسف مختارًا من الله الاب ليقوم بازاء المسيح مقامهُ في الارض وهذه لعمري رتبةٌ شريفة ليس لها شبيه تجعل يوسف مماثلًا للاب السماويّ. فاوجب ذلك ان يعطي اللهُ الآبُ يوسفَ نائبهُ شيئًا من روح ابوَّتهِ الالهيَّة الفائقة كل مدارك البشر التي بموجبها يولد كلمتهُ وابنهُ الحبيب وصورة جوهرهِ منذ الازل

فهذه الاعتبارات تزيل كل ريب في ابوة يوسف الحقيقية. ولذلك نرى الانجيل لا يرتاب في تسميتهِ ابًا للمسيح وكذا تدعوهُ البتول العذراء نفسها (لوقا ٢: ٤٨)

قال يوستينوس الشهيد في القرن الثاني للمسيح: «قد احبَّ الله ان يُعطي ليوسف ابنًا مولودًا من قرينتهِ ولو لم يتناسل منهُ». وقال كورنيليوس الحجريّ: «ان المسيح ثمرة زيجة يوسف ومريم. فلما وُلد في عهد اقترانهما صار خاصتهما كليهما كما يخص الابن اباهُ وامهُ معًا. والسبب في ذلك واضحٌ لانَّ يوسف اضحى بالزيجة متملكًا جسد البتول فكل ثمرٍ منها هو ملكهُ حسب الشرع. وان اعترضتَ قائلًا ان مولد يسوع لم يكن على الطريقة العاديَّة فاذًا ليس ليوسف عليهِ حقوق الابوة اجبتُكَ تاركًا نتيجة القياس لانَّ مولد المسيح ولو لم يكن على الطريقة العاديَّة انما كان على طريقة شرعيَّة موافقة لحكمتهِ تعالى الذي لهُ ان يخترق سنن الطبيعة لغايةٍ اهلهُ بجلالهِ. ألا ترى انهُ لو انت ارضك بثمارٍ أنبتها الله دون زرع كانت هذه الثمار خاصتك وملكك فهكذا يصحّ ليوسف ان يدَّعي بابوةٍ صادقة حقيقية نحو المسيح ولو ولد من البتول خطيبتهِ بقوَّة الروح القدس دون زرع بشريّ

فالنتيجة من القول السابق ان رتبة يوسف اجلُّ الرتب واعلاها مقامًا بعد رتبة امّ الله. ولكن هذه الرتبة تستدعي قداسةً موازيةً لها وتستلزم فضائل سامية تناسبها

فثبت اذن ان قداسة يوسف تفوق قداسة جميع الابرار دون استثناء.

اما البرهان الثاني الذي يرضح قضيتنا ويبين تقدُّم القديس يوسف على جميع القديسين فمستندهُ على ان يوسف داخلٌ في طور سرّ التجسد الالهيّ فيستحقّ من هذا القبيل ان يُعَدَّ اعلى مقاماً من اي قديس كان الّا البتول مريم

اعلم ايها القارئ اللبيب انَّ لعالم النعمة اطواراً كما انَّ لعالم الهيولي طبقات مختلفة وقد قال الرسول (افس ٤: ١١): «انَّ الله جعل بعضاً انبياء وبعضاً مبشرين وبعضاً رعاةً ومعلمين لاجل تكميل القديسين ولعمل الخدمة وبنيان جسد المسيح». فهذا البنيان العجيب الذي اشار اليهِ الرسول في هذه الآية يبيِّن باجلى برهان ما في عالم الروحيّات من الدرجات والرتب المتفاوتة ولكن اذا حدَّقنا ببصرنا الى جماعة المؤمنين وجسد الكنيسة الادبي وجدنا طوراً آخر يفوق جميع هذه المراتب السابق ذكرها. وهو الطور المختص برأس هذا الجسد الرمزيّ وما هو هذا الرأس الّا المسيح كما اثبت ذلك بولس الرسل حيث قال فيهِ (كولوسي ١: ١٥و١٨): «هو صورة الله الغير المنظور.. وهو رأس جسد الكنيسة» وقال ايضاً (افس ٥: ٢٣): «انَّ الرجل هو رأس المرأة كما انَّ المسيح هو رأس الكنيسة»

فان كان لرأس كل جسم رتبةٌ عليا بالنسبة الى هذا الجسم فكم بالحريّ يكون رأس الكنيسة بالنسبة الى جسده الروحيّ. وهذه الرتبة التي تختصّ بالمسيح دون سواه تدعى رتبة اتحاد طبيعتيهِ الجوهريّ باقنوم ابن الله (ordre de l'union hypostatique)

ولكن هذه الرتبة المختصَّة بالهة الكلمة قد ينال منها شطراً كل من شاركهُ في هذا السرّ العجيب وعلى قدر مشاركتهِ لهُ. فالمقام الاوَّل كما لا يخفى لمريم العذراء اذ ان منها استمدَّ المسيح جسده الطاهر فصارت بولده منها امَّ الله حقيقة لانَّ في المسيح اقنوماً واحداً قائماً في طبيعتين

امَّا المقام الثاني فهو يحقُّ بلا ريب للقديس يوسف لانَّ سرّ التجسد «كما سبق الله وقضى بهِ» لم يمكنهُ ان يتمَّ دون يوسف كما انهُ لم يمكن وقوعهُ دون مريم. وذلك لانَّ الله لانجاز هذا السرّ العظيم لم يختر فقط بتولًا بل اختار بتولًا مرتبطة بعلائق الزيجة (راجع متى ١: ١٨—٢٠). والزيجة هذه التي تذهل عقول البشر لم يمكنها ان تتمَّ الّا بواسطة رجل وما هذا الرجل سوى يوسف البار ذي العفة الملائكيَّة. فان

وزيجتهُ بالعذراء الطاهرة وعفَّة كليهما كانتا امرين لازبين موجبين لتجسُّد ابن الله. قال القديس توما شمس المدارس: « قضى الله بعنايتهِ الربَّانيــة ان يُعقد القران بين مريم ويوسف ليولد تحت كنفهما الطفلُ الاله ». وقال سوارس: « قد رتَّب الله هذه الزيجة العجيبة ليتمَّ بواسطتها سرّ التجسُّد الالهي »

هذا ولا احد ينكر انَّ عظمة مريم العذراء تأتيها من كونها داخلة في رتبة اتحاد ابن الله بالناسوت البشري. ولكن كيف يسوغ ان يُحرم يوسف من هذا الشرف الاثيل ولولاهُ كما قيل لم يشاء الله ان ينجز سرّ الفداء البشري

واذا قابلنا بين رتبة يوسف هذه ورتبة يوحنَّا المعمدان او رتبة الرسل وجدنا بينهما بوناً عظيماً. وذلك ان يوحنَّا السابق وتلامــذة المسيح اقتربوا من شخصهِ الكريم وخدموهُ خدمةً صادقة وهيَّأوا لهُ الطريق ودعوا الناس اليهِ وشهدوا لهُ شهادة صادقة لم يستنكفوا معها عن سفك دمائهم لاجلهِ. ولكن اين هذه الخدمة التي غايتها رفع شأن المسيح وتعزيز ملكهِ من خدمة يوسف الذي شارك الثالوث الاقدس في ايجــاد سرّ التجسُّد وتنشئتهِ أليس طورهُ اعلى من طورهم ؟ لا مشاحَّة في ذلك. وقصــارى الكلام نقول انَّ يوسف الجليــل فاق برتبتهِ السامية كل الانام الا البتول بل فاق الملائكة انفسهم لانَّ ليس منهم احد نال ما نالهُ اذ قرَّبهُ الله من شمس البرّ ومصدر كل صلاح فجعلهُ في مقام دونهُ كلّ مقام دخل في طور سرّ التجسُّد مع العذراء مريم وبدخولهِ اضحى مرتبطاً باللاهوت نفسهِ ارتباطاً جليلاً خوَّلهُ شرفاً لا يُماثل

فيرى القــارئ ممَّا سبق انَّ الكنيسة اذا اثبتت عقيدة تقدُّم القديس يوسف على سائر اولياء الله لا تفعل شططاً وانهُ ليس على المؤمنين من حرج اذا التمسوا شفاعة هذا البار وقدَّموهُ في عباداتهم على كلّ من سواهُ. نفعنا الله بادعيتهِ وصلوات جميع اوليائهِ الاطهار امين

مطبوعات شرقية جديدة

بلوغ الارب في احوال العرب

للعلَّامة الفاضل السيِّد محمود شكري آلوسي زاده

الجزء الثالث طُبع في مطبعة دار السلام في بغداد سنة ١٣١٨ صفحاتهُ ٤٧١

يسرُّنا ان نكرر مرَّة ثالثة (راجع المشرق ٢: ٥٢٣ و٣: ٢٣٦) الثناء العاطر

على هذا التأليف الجليل الذي لم يأتِ الشرقُ بمثلهِ حتى الآن. وهذا الجزء الثالث من بلوغ الارب ليس هو في شيء دون اخويهِ السابقين اودعهُ صاحبهُ من بلاغة التعبير وطلاوة الانشاء وحسن التقاسيم وغزارة المواد ما يغني عن مطالعة كتب عديدة تراها اذا استخلصت لبابها كثيرة السقط قليلة الجدوى. ومما يشتملهُ هذا القسم مذاهب شتى لقدماء العرب وخرافات عديدة جروا عليها

ثم يلي ذلك ذكر علومهم من شعر وخطابة وانساب وتاريخ وهيئة وكهانة وطب مع وصف اعلامهم ومشاهيرهم في كل هذه العلوم. وأتبع المؤلف هذه الابواب بفصول في معارف العرب وفنونهم وصنائعهم كالرياضة والمراماة والنضال وعلم الانواء والملاحة والكتابة والحدادة والحياكة الى غير ذلك مما يعزُّ وجودهُ في اكثر التآليف القديمة جمعهُ المؤلف الاديب بهمَّة لم يثنها السأم ولم يكلّها الملل. ونحن نأمل انَّ جناب السيد لا يضنّ علينا قريباً بفهارس موسَّعة تضاعف فوائد الكتاب وتجعلهُ تامَّ الأهبة مثالاً في الكمال

كتاب قانون المبتدئين

عُني بطبعهِ حضرة القس افرام الديواني احد مدبري الرهبانية الحلبيَّة المارونية
طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠١ ص ١٠٠

تحضُّ كل الرهبان على مطالعة هذا الكتاب فانهُ وان كان يحتوي خصوصاً على قوانين تعليم المبتدئين وتدريب الطالبين الَّا انهُ يتضمَّن ايضا عدَّة فوائد وارشادات تصلح لجميع الرهبان وهو مطبوع بالحرف الكرشوني ل. ش

شذرات

كتابٌ عزيز الوجود افادنا الشيخ العلَّامة محمود شكري الالوسي عن كتاب نفيس وقف عليهِ في بغداد يدلُّ على ما للعرب من الفضل بالعلوم الطبيعيَّة. واسم هذا الكتاب «تنقيح المناظر لأولي الابصار والبصائر» مدارهُ على علم المناظر والمرايا المحرقة يشتمل على نحو ٧٠٠ صحيفة يرتقي خطهُ الى زمن مؤلفهِ وعليهِ تصحيحهُ كُتب سنة ٧٠٨ هـ المولى المحقق والفاضل المدقق الشيخ كمال الدين ابي حسن الفارسي وقد لخص بهِ كتاب ابن هيثم في المناظر وكان في جلدين

ضخمين وهو فصيح الانشاء بليغ التعبير سهل المأخذ اشكالهُ متقنة . لهُ خطبة مطوّلة اوّلها « باسم الله الرحمان الرحيم . الحمد لله نور الانوار . ومظهر عجائب الاسرار . وواهب السمع والابصار . ومكوّر النهار على الليل والليل على النهار الخ » . والكتاب يقسم الى سبع مقالات تشتمل على فصول كثيرة . ١ً في كيفيّة الابصار بالجملة . ٢ً في تفصيل المعاني التي يدركها البصر وعللها وكيفيّة ادراكها . ٣ً في اغلاط البصر في ما يدركهُ على استقامةٍ وعللها . ٤ً في كيفيّة ادراك البصر بالانعكاس عن الاجسام الصقيلة . ٥ً في موضع الخيالات وهي التي ترى في الاجسام الصقيلة . ٦ً في اغلاط البصر في ما يدركهُ بالانعكاس وعللها . ٧ً في كيفيّة ادراك البصر بالانعطاف من وراء الاجسام المشفّة المخالفة لشفيف الهواء .

اصلاح سهو قلنا في عدد سابق (المشرق ١٨٩) انّ الميمر الذي عُني بطبعهِ الخوري الفاضل جرجس السبعلاني هو ليعقوب السروجيّ وهذا سهو واضح والصواب انهُ ليعقوب الرهاويّ المعروف بمفسّر الكتب كما نصّ عليهِ السمعاني في المكتبة الشرقيّة (٣ : ٣٥٣) والقس جبرائيل القرداحيّ في كتابهِ الكنز الثمين (ص ١٨) . ويا حبّذا كان متولي هذه الطبعة الجديدة صدّر كتابهُ بترجمة المؤلف وقدّم عليها توطئة لتعريف فحواها وظروف كتابتها

تاريخ شهداء الصين كتب لنا حضرة الاب ا . ج كيرلّوس :

بما ان التواريخ عادةً ألفها الناس منذ القديم وركنوا اليها لدى وقع الدواهي والملاهي وتزول الافراح والاتراح رغبتُ مع علمي بقصر باعي في فنّ القريض بوضع تاريخ لاولئك الابطال الذين نقل الينا مشرقكم الاغرّ ما قاسوا في بلاد الصين لحاماتهم عن ذمار الدين من الجور والاضطهاد في ساحات القتال والجهاد فتخليدًا لذكرهم وتعظيمًا لقدرهم ندوّن ما ابقوا لنا بعد استشهادهم من حميد الآثار ليردّدها ابناء العصور مدى الادهار :

ثارت غبار الوغى فوق الملا وغدا مستنقع الموت مضمار الصناديدِ
خير الرجال اتت ظهر البخار علّت إبن السماء نحت رقّا بخوّدِ
حذًا لذا الظلم فاجعل للبري حمًى يحميهِ من وثبات الذئب والسيدِ

قالوا فآبى فخاضوا الغمرَ فاحتكمت ... اسياف كفرٍ باعناق لهم غيدِ
جهادكم يا كماة الدين أدهشنا ... وموتكم دونهُ ضربٌ من العيدِ
جدتم حياةً وذا تاريخ حبكمُ ... والجود بالنفس اسمى غاية الجودِ

١٩٠٠

أسئلة واجوبة

اسئلة نقترحها على قرّاء المشرق

من اي كلمة او كلمات مقطوعة الالفاظ الآتية ؟ حروف القسم التي يصدَّر بها اسم الجلالة: وافقٍ وباقٍ وتاقٍ فما اصل الواو والباء والتاء فيها. ٢ ياء الضمير في المتكلم نحو كتابي: ٣ اللام الجارّة الدالّة على الاختصار. نحو فمٍ المجد والجنّة للمؤمن

س وسأل آخر ما معنى لفظة « بشخانة » الواردة في الكتب الكنسيّة

البشخانة

ج معناها الكلّة او الناموسية. وهي مركبة من لفظتين اعجميّتين « بشه » بموض « وخانه » بيت ولعل المراد بها في الكتب المذكورة مظلّة القربان

س وسأل بعض المستفيدين عن اشتقاق لفظة « قرطجنّة » هل اصلها منحوت عن « قرطاجة نوفا Carthago nova » كما زعم الهلال (١٩٠٠ ص ١٦٣)

اصل اسم مدينة قرطجنّة

ج اسم قرطجنة اشتقهُ العرب من قرطاجة « Carthago » اما النون الزائدة فهي نون التصريف اللاتيني. فان العرب لمّا فتحوا افريقية سمعوا العامة يدعون المدينة « Carthago » في حالة الرفع بل « Carthagine » في حالة الجرّ وهي لغة الشعب العامية فدعا العرب « قرطجنة » وعليهِ فلا وجه لتأويل الهلال

س وسأل من دير القمر القسّ نعمة الله الشهابيّ هل قوس قزح كان قبل الطوفان لانَّ الربَّ جعلهُ علامة عهد بانهُ لا يغرق الارض فيما بعد

قوس قُزح

ج قوس قزح ناشئة جوّيّة طبيعيّة تحدث في الهواء عند وقوع اشعّة الشمس في الغمام اذا تمّت بعض الشروط (راجع مقالة المشرق في هذا المعنى) اما حدوثها قبل الطوفان فلا شكَّ فيهِ. وهذا لا يمنع كون الله اتّخذ هذه الظاهرة الطبيعيّة لتكون هي الشاهد على العهد الذي ابرمهُ الله مع البشر بألّا يغرق الارض ثانيةً. ومثل هذا يجري حتّى بين الناس الذين يجعلون شيئًا وضعيًّا كشاهدٍ على صدق كلامهم

ل. ش

قائمة للآثار الجوّية من ١٠ الى ٢٥ شباط ١٩٠١

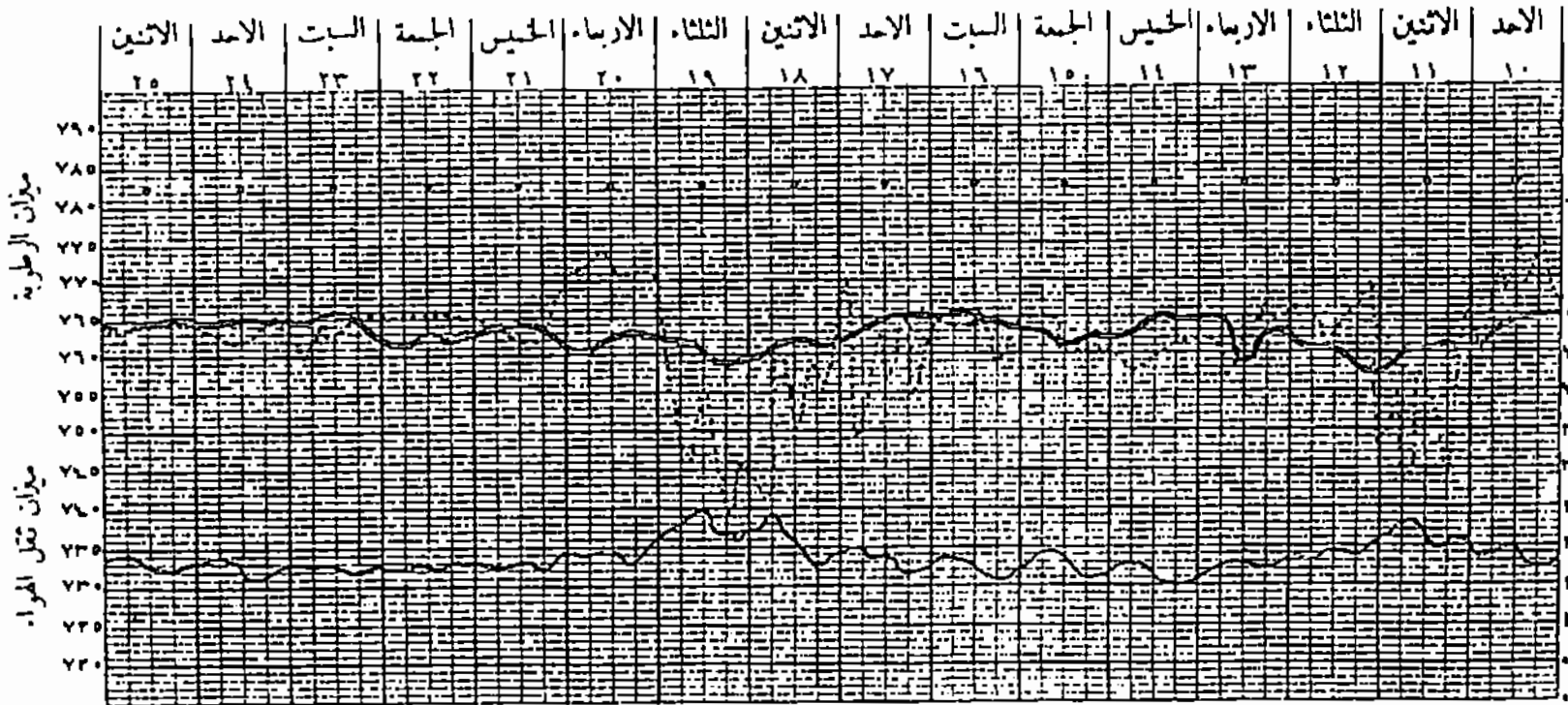

انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر)
امّا الخطّ المنقّط (٠٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملّمترات وعُشر الملّمترات